الباب الأول

القدس العربية منذ نشأتها إلى الفتح الإسلامي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المبحث الأول

القدس من عهد الساميين إلى عهد اليبوسيين

المطلب الأول: مدينة القدس

القدس: لغة . "(قَدّسَ)-: قُدَّساً: طَهُرَ، قدّس الرجل: زار بيت المقدس.و- لله تقديسا: طهّر نفسه له، - صلى له،. و – عظّمه وكبَّره، وفي التنزيل العزيز "ونحن نسبح بحمد ونقدس لك" – فلان الله: نزهه عما لا يليق بإلوهيته. و – اللهٌ فلانا طهَّره وبارك فيه. (القُدسَ): قدح نحو القُمَر. و- السّطَل، لأنه يتطهر به.بيت المقدس، بالنسبة إليهما، مقدسيٌّ، ومقدسيٌّ. (المقدَّسةٌ): الأرض المقدسة: المباركة و – ارض فلسطين.(المَقدسٌ): بيت المقدس، حرم القدس.[1]

القدس اصطلاحا: القدس مدينة الله، وهي من أقدس مدائن الدنيا، وتعني في جلّ الأسماء التي أطلقت عليها عبر تاريخها العريق (القداسة والطهارة والتنزيه من الذنوب)، كما ذكرت في تعليلات العديد من الرحالة والمؤرخين والزوار الذين وفدوا إليها، ولا زالت تأخذ موقعها في قلوب المؤمنين من أتباع عقائد التوحيد، فهي أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين، ولها مكانة مميزة في عقيدة المسلمين خاصة، فمنذ نشأتها الأولى وهي عربية الأصول،عاشت خمسة عشر قرنا في كنف الحضارة العربية الإسلامية، التي أضفت عليها الطابع العروبي الإسلامي، اللهم إلا تلك الفترة الوجيزة من التاريخ خلال الإحتلال الصليبي، التي لم تتجاوز الثمانية والثمانين عاما، كانت فترة ظلم وظلام، عادت بعدها إلى العهود الإسلامية المشرقة، ولازال كل شبر من ثراها الطهور، وكل حجر من روابيها شاهداً على عروبتها واسلاميتها، بالرغم مما جرى لها في الفترة الأخيرة من احتلال صهيوني محاولاً تغيير واقعها، وطمس معالمها، وآثارها، وحضارتها العربية الإسلامية، ومهما عمل المحتل فلن يبلغ ما بلغه الصليبيون منها بيد أن الصليبيين زالوا عنها، وعادت لأصحابها الشرعيين.

(1) مصطفى، إبراهيم ،وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط اسطنبول المكتبة الإسلامية، 1960م، مادة قدس.

المبحث الثاني

جغرافية ومعالم القدس

إن من يهتم بالقدس وتاريخها، والأمم والحضارات التي درجت على ثراها منذ أقدم العصور، لا بد له من التعرف على كنوز هذه المدينة، وما تحويه من شواهد، ومعالم يستدل بها الإنسان على طبيعة هذه المدينة، وموقعها الجغرافي وإستراتيجيتها، ووضعها السكاني. فإذا تم لنا التعرف على هذا الواقع فقد فهمنا الماضي وأشرفنا على المستقبل.

ليس التعرّيج على هذا الموضوع من صلب موضوعنا، بيد أنه من واجبنا أن نقدم للمتأمل،والباحث عن القدس، صورة نموذجية مما تعيشه هذه المدينة، وما تحويه من كنوز، ومواقع حريَ بالإنسان أن يعرفها.

المطلب الثالث: الموقع الجغرافي، تقع مدينة القدس في منتصف فلسطين بانحياز قليل نحو الشرق، على خط طول 13و35درجة شرقي جرينتش وخط عرض 52و31درجة شمالا، وهي تقع على تلال يتراوح ارتفاعها 750مترا عن سطح البحر الأبيض المتوسط -1150مترا عن سطح البحر الميت.

والقدس عاصمة فلسطين الأبدية منذ القدم، وهي تشكل القطاع الغربي من بلاد الشام، والتي هي جزء من الهلال الخصيب، ففلسطين جزء من الوطن العربي الكبير، وأهلها من أعرق الأجناس، سكنوا فيها منذ عصور موغلة في القدم، ولا زالوا يعتزون بفلسطينيتهم، وانتمائهم العروبي، وعقيدتهم الإسلامية، التي أضفت على هذه البلاد النعمة، والخير، والبركة، وطهرتها من الغزاة على مر العصور.

المطلب الأول: جبال القدس

تحيط بالقدس جبال تميل من الغرب إلى الشرق من عدة جهات، تمثّل حصنا لهذه المدينة، وهي.

1) جبل الزيتون:

يقع جبل الزيتون في الجهة الشرقية، كما أنه يعرف بجبل الطور، ويقع قبالة السور الشرقي لمدينة القدس الخالدة، ويمكن مشاهدة معظم مدينة القد من هذا الجبل.

سمي هذا الجبل بجبل الزيتون، لأنه كان مغروساً بالزيتون الذي مازالت آثاره ماثلة للعيان حتى وقتنا الحاضر، حيث كان يؤخذ من الزيت المستخرج منه ويمسح به رؤوس الناس تبركا به، يفصل هذا الجبل عن مدينة القدس وادي قدرون، وتقع في هذا الجبل عدة كنائس.

أ. **كنيسة الجثمانية:** تقع في أسفل جبل الزيتون في وادي جهنم، عند ملتقى الطرق بين القدس والطور، وتسمى بحديقة المعصرة، هذه الحديقة التي ارتبطت بذكريات قدسية عند المسيحيين، حيث صلى المسي "عليه السلام" في هذا المكان قبل أن يلقى الأعداء القبض عليه.

ب. **كنيسة مريم العذراء:** تقع في أسفل جبل الزيتون، على بعد خمسمائة متر للشرق من سور القدس الشرقي، بنيت في القرن الخامس الميلادي، ثم أعيد بناؤها مرة أخرى سنة 1161 م وتحتوي على قبور،عمران "يواكيم""وحنة والدة مريم وقبر مريم نفسها ويوسف النجار.

ج. **كنيسة هيلانه** وهي كنيسة كبيرة مبنية على قمة جبل الصعود "وجبل الصعود هو موضع الأبنية التي تكلل الجبل".

ومما هو جدير بالذكر، أن صفية زوج النبي محمد (ﷺ) قدمت بيت المقدس، وصلت به وصعدت طور زيتا، فصلت وقامت على طرف الجبل فقالت "من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار" وهذا الجبل هو الذي صعد منه عيسى (عليه السلام) إلى السماء حين رفعه الله إليه، وعلى هذا الجبل قبر رابعة العدوية [1]

يشكل جبل الزيتون موقعاً استراتيجياً لمدينة القدس، فيطل على الجهة الشرقية، فيسيطر على الغور، وجانب كبير من البحر الميت، فيرصد التحركات من هذه الجهات0

2) جبل بطن الهوا:

وهو الجبل الذي يقع جنوب جبل الزيتون، وينحدر عنه قليلا، يفصله عن القدس وادي سلوان، وملتقى وادي قدرون، كما أنه يعرف اليوم (برأس العمود) وربما سمي بهذا الاسم لأنه يستقبل الهواء القادم من القدس، وهو معروف تاريخياً، بأن سيدنا سليمان "عليه السلام" بنى لزوجاته المؤابيات، والعمونيات، والأدوميات، والصيدونيات، معبدا له "إن هذا المدخل لا يليق بنبي ورسول، ألا وهو سيدنا سليمان (عليه السلام)أن يصل به المقام إلى هذا الحال: والعياذ بالله "إذ أنه من وجهة النظر الإسلامية طعن للنبي سليمان مما لا نقره نحن المسلمين، تمشياً مع روح القرآن الكريم، بل تنزيهه عن زيغ القلب وخلخلة الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾[3].

(1) أبو جابر، إبراهيم، القدس في دائرة الحدث،ط1؛ أم الفحم: مركز الدراسات المعاصرة، 1996م، ص 41.

(2) سورة البقرة آية 102.

(3) سورة النمل آية 15.

3) جبل المكبر:

يقع في الجهة الجنوبية لمدينة القس، ويسمى أيضا جبل الثوري، وهناك فواصل جغرافية تفصل بينه وبين جبل الطور، حيث يقع وادي سلوان، كما يقع بينه وبين جبل صهيون وادي الربابة.

وأن سبب تسمية هذا الجبل بهذا الاسم، هو أن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" قد حضر لفتح بيت المقدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة، وقد حضر إلى الجابية، واجتمع بقادة الجند، وحضر إليه وفد من أهالي بيت المقدس، ليعاهدوه على الصلح، ولما عادوا دخل "رضي الله عنه" بيت المقدس عن طريق هذا الجبل، حيث هلل، وكبّر، واستغفر، ودخل بيت المقدس من هذا الاتجاه، ومنذ تلك اللحظة تعارف الناس على تسمية هذا الجبل بهذا الاسم،فسمي بجبل المكبّر، ويرتفع هذا الجبل عن سطح البحر 895 مترا.

4) جبل النبي صموئيل:

يقع هذا الجبل في الجهة الشمالية الغربية لمدينة القدس، حيث يبعد حوالي خمسة كيلو مترا، ويبلغ ارتفاعه 835 مترا عن سطح البحر، ويشرف على منطقة الساحل من الغرب، ومنطقة رام الله من الشمال. وسمي بهذا الإسم تيمنا بأحد الأنبياء السابقين.

5) جبل رأس المشارف:

يقع جبل رأس المشارف امتداداً لجبل الزيتون في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة القدس، ويفصل بين هذين الجبلين شِعب يسمى بعقبة الصوان، كما أن هذا الجبل يعرف بجبل سكوبس، نسبة إلى سكوبوالس في اليونانية، ومعناه الهدف، والإشراف، والارتفاع، وذلك لإشرافه على القدس.

وأن لهذا الجبل ولاختيار تسميته بهذا الاسم، دلالة إلى الطرق المؤدية إلى القدس، من جهة الشرق والشمال لمراقبة تحرك الأعداء من هذه الجهات.

كما أن مدينة القدس؛ أي البلدة المقدسة تحديداً، فإنها تقع على تلين هامين: وهما التل الشمالي الذي يقع عليها المسجد الأقصى المبارك، وامتداده إلى الغرب بالقرب من باب حطه، والتل الثاني التي يقع جنوبا، حيث كان يربط بينهما قديما ممران، وقناطر، ومن هذه الممرات ما بني في عهد اليبوسيين، ومنها ما بُنيَ فيما بعد.

المبحث الثاني

الجبال المقام عليها مدينة القدس

1) **جبل أكرا أو جبل صهيون:** إن هذا الجبل عبارة عن تلة مرتفعة عن هضبة القدس القديمة، ويقع في الناحية الجنوبية الغربية منها، ويفصل بينهما واد قديم، يسمى بواد الجبانة، أو التربيون،يشرف هذا الجبل على القدس،وسمي بجبل صهيون، حيث اتخذه اليهود عنواناً قومياً فراحوا يروجون له في العصر الحديث، كمركز لتجمع اليهود، وكلمة صهيون ذات دلالة في اللغات السامية القديمة حيث تعني الصلب.

أما كلمة أكرا، فإنها كلمة يونانية، حيث ثار اليهود على الحاكم اليوناني السلوقي أنطوخيوس الرابع الملقب (بأبيفانوس) الذي حكم الشام، في فترة حكم السلوقيين، اليونانيين، أتباع سلوقس، أحد ورثة الإسكندر، والذي حكم فيما بين عام 175 وعام 164 ق. م وقد اعتصم اليهود في هذه القلعة،فبادر هذا الحاكم القضاء عليهم، وبنى قلعة على هذا الجبل، سماها أكرا باسم الجبل نفسه[1].

2) **جبل بيت المقدس:** وهو الجبل الذي يقع عليه المسجد الأقصى المبارك، وقبة الصخرة المشرّفة، وكل هذا الجبل فيه من القدسية، والتكريم، ما جعله موضعاً لهذا المكان الإسلامي العريق، المرتبط بحادثة الإسراء والمعراج، للنبي محمد (ﷺ)، كما انه نواة بيت المقدس، والذي ورد فيه الحديث المشهور عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) حينما سأل النبي محمد (ﷺ) فقال له: يا رسول الله: أي مسجد بني على الأرض أولا؟ فقال (ﷺ) المسجد الحرام، ثم قال: أي؟ فقال (ﷺ) بيت المقدس، قال: وكم بينهما؟ قال أربعون عاما وصلي حيثما أدركتك الصلاة". [2]

فجوهرة بيت المقدس، الجبل المقدس، وهناك رواية أخرى تسمي هذا الجبل بجبل الموريا، وأن هذا الاسم مرتبط بقصة الذبيح ابن إبراهيم الخليل "عليه السلام"وأن قصة الذبيح حدثت على قمة هذا الجبل وهناك خلاف على هذا الاسم وموقعه، من المعلوم أن قصة الذبيح حدثت لسيدنا إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) وأن الحدث وقع خارج بيت المقدس، وقد حدث فعلا في الديار الحجازية،وأن الأمم التي عاشت منذ تلك الحادثة حتى مجيء الإسلام، وهي تتبع هذا التقليد الإسلامي، فلم يذكر لنا التاريخ أن اليهود أو النصارى الذين يدعون بأنهم أتباع إبراهيم، بأنهم قد اتخذوا من الديار الحجازية مكانا لأداء مناسك الحج، بيد أن العرب حتى في العصر الجاهلي قد التزموا بهذا التقليد وساروا عليه

(1) عمرو يونس، القدس مدينة الله، ط2، جامعة الخليل منشورات مركز البحث العلمي،1987م، ص 27.

(2) الإمام البخاري، الجامع الصحيح، رقم 3425.

عبر قرون متتالية حتى جاء الإسلام، وصحح هذه العقيدة في نفوس المؤمنين، فنستدل على أن كلمة (الموريا) ربما لا تقع في القدس، وهناك اسم قريب الشبه في مدينة الخليل ويدعى ممرا، ربما أنه كان اسما لهذا الموقع، علما بأن إبراهيم الخليل (عليه السلام) كانت إقامته في جنوب فلسطين في أرض الكنعانيين، وتحديدا عند أبي مالك ملك الفلسطينيين "وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب) [1]فأرسل أبي مالك ملك جرار وأخذ سارة"[2] يعتقد السامريون أن جبل الموريا المقصود به هو جبل جرزيم في نابلس، وأن كلمة جرو سالم،وأن الذبيح الذي قام به سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لابنه كان على قمة جبل جرزيم، وليس في القدس كما يدعي اليهود، وهناك دراسة عن الطائفة السامرية، للدكتور محمد حافظ الشريدة، والأستاذ عمر عبد الخالق غوراني، في كتابهما عن الطائفة السامرية، يقولان فيه، بأن الكاهن عبد المعين صدقه يقول (جبل جرزيم) له عدة براهين على أنه الجبل المقدس، جبل البركة، جبل الرحمة، جبل القرابين، جبل الإلهام [3] وأن سر قدسية "جبل جرزيم تأتي في اعتقادهم عليه عندما أراد إبراهيم أن يقدم ابنه إسحق " وذلك في مكان يقع في الجنوب الشرقي من قمته [4]

المطلب الثاني: أودية مدينة القدس

حيث إننا ما زلنا في مدينة القدس بتضاريسها وهضابها وجغرافيتها وتعرفنا على الجبال المحيطة بها والمقامة عليها، كان لا بد لنا من التعرف على أوديتها ومنخفضاتها حتى يتم لنا التعرف التام على طبوغرافية هذه المدينة وما هي عليه.

الأودية المحيطة بالقدس

1- **وادي قدرون:** يقع هذا الوادي شرقي مدينة القدس حيث يقع بينها وبين جبل الزيتون فينحدر من الشمال إلى الجنوب حيث يلتقي بأودية أخرى إلى أن تنساب جميعا في ملتقى واحد باتجاه البحر الميت، ويسميه العرب باسم وادي النار أو وادي سلوان أو وادي ستي مريم. وكلمة قدرون تعني في اللغات السامية القديمة الظلام ويعتقد بأن الحشر سيكون في هذا الوادي لما فيه من وحشة.

---

(1) سفر التكوين 20/ 1.

(2) سفر التكوين 20/ 3.

(3) شريده، محمد حافظ وعوراني، عمر عبد الخالق، الطائفة السامرية، ط1،1994م،ص69 .

(4) المصدر نفسه، ص 70.

2- **وادي سلوان أو وادي الربابة:** يمتد هذا الوادي بمحاذاة الناحية الجنوبية للقدس منسابا من الغرب إلى الشرق فيبدأ من الطرف الجنوبي الشرقي لجبل صهيون حتى يتصل بوادي قدرون من الجهة الشرقية. ووادي سلوان يقع فيه نبع عين سلوان المشهور والمعروف لدينا الآن حيث يقع فيه حي سلوان العربي الذي امتاز أصحابه بالزراعة المحلية والنشاط التجاري والأعمال اليدوية التي ترفد مدينة القدس. كما أن هذه العين هي النبع الوحيد الذي يغذي هذه المنطقة من المياه الجوفية علما بأن مدينة القدس تعتمد في مياهها على مياه الأمطار وقد تم حفر هذا النبع منذ عصور موغلة في القدم أي قبل مجيء بني إسرائيل إلى هذه الديار حيث حفرها فريقان، فريق ابتدأ الحفر من جهة النبع في سلوان والفريق الآخر باشر أعمال الحفر من داخل المدينة حيث تم لهما الالتقاء في مكان عثر فيه على نقش كنعاني متأخر داخل النفق يروي حكاية شقه في الصخر وأنه عرف بنقش سلوان.

3- **وادي الجبانة**: يلتقي هذا الوادي بواديي قدرون شرقا وسلوان من الناحية الغربية الجنوبية يمتد مسير هذا الوادي فيفصل هضبة الحرم القدسي عن جبل أكرا أي (جبل صهيون)حيث أن هذا الوادي يشكل جزءا من المدينة، وسمي هذا الوادي بهذا الاسم لاحتمالين أولاهما أن كان مركزا لتجمع باعة الجبن والاحتمال الآخر لأنه مكان لدفن الموتى.

4- **وادي الأرواح:** يقع هذا الوادي غربي جبل صهيون حيث ينساب شرقا إلى أن يلتقي بوادي سلوان عند موقع ما يعرف اليوم جورة العناب أو بركة السلطان حيث كان في هذا الوادي مقبرة لدفن الموتى.

5-**وادي الجوز**: يقع في الجهة الشمالية من المدينة وهو سهل منبسط لا يشكل عائقا جغرافيا أمام الغزاة لها في أي مرحلة من مراحل العبور إليها.

لقد كانت هذه الأودية التي تحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث الغربية والجنوبية والغربية تشكل خطوطا دفاعية للمدينة فيصعب اقتحامها، حيث كان يهاجمها الغزاة من الجهة الشمالية، بل أن جل فتوحاتها منذ العصور القديمة كانت تأتي إليها من الشمال لأنها منطقة مكشوفة ولا يوجد بها أودية يمكن أن تكون عائقا أمام الفاتحين لها.

أما داخل المدينة فهناك منطقة ألواد المعروفة للجميع، حيث بنيت المدينة على تلتين تقابل بعضيهما البعض ويفصل بينهما الوادي الذي يقسم المدينة إلى شطرين، وعلى طرف الوادي كانت مجموعة من البيوت قائمة على التلتين كلتيهما، وعلى إحدى هاتين التلتين كانت تظهر القدس العليا بوضوح، وفوق التلة العليا كانت تظهر بما يسمى القلعة.

المطلب الثالث: أسوار مدينة القدس

كانت تحيط مدينة القدس ثلاثة أسوار:

أولا: ليس من السهل التحدث عن السور الأول، وأن نصفه بسبب ذلك الوادي ومن واقع تلك التلة التي تم إقامة الأبنية علها، ولكن بجانب هذه الخطورة، ومن واقع تلك المنطقة التي أقيمت عليها تلك الأبنية، نقول إنها كانت بيوتا قوية، لأن كلا من الملك داود وسليمان: وهما النبيان (عليهما السلام) في المفهوم الإسلامي- والملوك الذين أتوا من بعدهما عملوا من أجل أن تكون هذه الأبنية قوية، هذا السور يبدأ من الشمال من البرج الذي يسمى (هبكس)ويستمر في الامتداد، حتى يصل إلى موقع يدعى (أسكس)، ولكن إذا اتجهنا من الطريق الآخر، أي بالاتجاه الغربي، فإن البداية ستكون من ذات النقطة التي تحدثنا عنها، ويستمر عبر منطقة تدعي(بنسو) حتى بوابة (أسنس) وبعد ذلك يتجه جنوبا حتى يصل إلى موقع عين سالومي، أي فوقها، والتي تستمر في اتجاه الشرق حتى بركة سليمان. وتصل في هذا الاتجاه حتى موقع يدعى أوفل. التي كان امتدادها إلى الزاوية الشرقية من معبد هيرودس.

ثانيا: السور الثاني: فيأخذ موقعا بدايته بوابة "جنت" والتي تتجه إلى موقع السور الأول، إنها فقط تتعامل مع الحي الشمالي للمدينة وأبعد نقطة تصل إليها هي موقع الأنطونيا.

ثالثا: السور الثالث: فقد كان موقع برج (هبكس) والذي كان يغطي أيضا أبعد نقطة شمالي المدينة ويغطي منطقة برج (بسفينوس)ويستمر في الامتداد حتى آخر نقطة جبل هيلينا (وهيلينا) هي ملكة (أديابيني) وأم (أرنتيس) ومن ثم يستمر على امتداد طويل، ويصل إلى مقبرة الملوك، ويعود ثانية إلى موقع البرج الذي هو بالزاوية، ويرتبط مع موقع يدعى (فلر) ويعود ويرتبط مع ذلك السور الذي يتعامل مع جهة وادي كدرون.

يقول جوزفيس أن التعامل مع هذا السور كان من خلال الواقع الذي بدأ به اليهود أعمال التمرد، فقد تم رفع السور حتى عشرين ذراعا، وبعد إحدى المعارك، تم رفعه أيضا ذراعين، وفي بعض المواقع، وصل ارتفاعه إلى خمسة وعشرين ذراعا[1] من خلال هذه الوقائع عن أسوار القدس فإننا نخلص إلى النتيجة التي مفادها أن القدس كانت مدينة محصنّة بالأسوار، وكانت في البداية عبارة عن أبراج منيعة في الجهة الغربية من المدينة، تشرف على جميع أرجائها، وتشكل مانعاً وحصناً قوياً لهذه المدينة من الأعداء. وتطور بناء الأسوار إلى أن أصبح السور الثاني، فالثالث، الذي يعتبر بحق هو الأساس للسور

(1) الفني، إبراهيم، المصلى المرواني، التسوية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك، القدس، 1997م، ص 92.

الحال، ومن المعلوم أن مدينة القدس مدينة عريقة، وعميقة التاريخ، ولم يبدأ بناء الأسوار لها في عهد داود (عليه السلام) فقط، بل أن تاريخ إنشاء الأسوار بدأ بالأمم السابقة، كاليبوسيين وإنها استعصت على فاتحيها في جميع المراحل.

لقد أعيد تجديد بناء السور عدة مرات في مراحل العصور المتتالية، فقد تم تجديده في عهد داود، وعهد الفرس، والرومان، ورمم عدة مرات في العهود الإسلامية المتعاقبة، وخاصة في عهد العثمانيين، بأمر من السلطان سليمان القانوني، إذ استغرقت عمارته خمس سنوات بين عامي (943 – 948هـ) و (1536 – 1540م) وما زال السور على الهيئة التي انتهت إليها العمارة هذه[1] علما بأنه قد أجريت عليه بعض الترميمات اللازمة حال حدوث أضرار فيه.

المطلب الرابع: أبواب سور القدس

لسور القدس سبعة أبواب رئيسة يمكن التعرف عليها كما هو مبين أدناه:

1-**باب العمود**: هو أكبر أبواب القدس وأحد مدخلين رئيسين للمدينة، ويعد شاهدا عظيما لفن العمارة العثمانية، حيث يصفه Joan Camay بأنه أجمل أبواب القدس. إن الداخل منه يمر في مفترق طرق تؤدي إحداها إلى سوق باب خان الزيت الشهير. والثانية تؤدي إلى طريق الواد ثم المسجد الأقصى المبارك والثالثة تؤدي إلى حارة السعدية وحارة باب حطه. إنه باب شاهق الارتفاع تعلوه قوس نصف مستديرة وفتحات أو ثقوب ذات طابع أمني مدببة مقام فوقها أبراج مزركشة ومدببة الشكل، أما مدخلا لباب فعرضه يتجاوز الأربعة أمتار ونصف المتر. هذا وقد نقش على الباب خلال الفترة العثمانية القانونية "لا إله إلا الله محمد رسول الله.ومن أسمائه:

أ. بوابة دمشق: كونه مخرج القوافل ولأنه يؤدي إلى دمشق.

ب. باب ستيفن Steephen Gate فهو يعود إلى الفرنجة الذين أطلقوا هذا الاسم على الباب.

ج. باب النصر أو باب طريق الانتصار Triumphal Gate Way فلأنه كان يستخدم كممر للملوك الفاتحة أو المحتلة لبيت المقدس.

د. الباب الشامي – لأن الناس ينطلقون منه بإتجاه الشام (أي الشمال).

ه. باب النصب التذكاري: The Gate Of Pillarوقد اعتاد أهل الخليل على تسميته بباب نابلس.

وسمي بباب العمود لأنه كان في الفترة الرومانية عمود أمام الساحة المقابلة للباب بناه الرومان تخليدا لأدريانوس حيث وضعوا له تمثالا فوق العمود يقع مقابل الباب من الداخل عند مفترق الطرق بين كنيسة القيامة وباب خان الزيت. وكان مصنوعا من الجرانيت

(1) عمرو، سبق ذكره، ص 38.

الأسود اللون وطوله 14 مترا ويظهر هذا العمود في خريطة الفسيفساء المكتشفة في الكنيسة البيزنطية في مأدبا. أزيل هذا التمثال في العهود الإسلامية.[1]

2- **الباب الروماني:** يقع إلى الشرق من باب العمود على عمق 8 أمتار من سطح الأرض ولا يبعد عنه سوى متر ونصف. وهو باب صغير الحجم، كان مبنيا أصلا للمشاة فقط وقد كان مرتكزا على عمودين تعلوهما قوس مستديرة بمستوى سطح الأرض الحالية أو الجسر الذي بني في عام 1966 م – 1967 م. أكتشف هذا الباب في عام 1936 م وعامي 1964 م 1965 م بإشراف المدرسة البريطانية لدراسة آثار القدس ودائرة الآثار الأردنية[2].

3- **الباب الجديد:** يقع في الجهة الجنوبية من باب العمود وهو باب جديد، ويعرف أيضا بباب السلطان عبد الحميد. حيث فتح في عام 1887 بأمر من نفس السلطان هذا وقد أغلق هذا الباب عام 1948 م وأعيد فتحه من قبل سلطات الإحتلال الإسرائيلي عام 1967 م، علما بأنه أقرب أبواب سور القدس إلى كنيسة القيامة.

4- **باب الخليل:** يقع في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة القدس وسمي بهذا الإسم لأن الداخل أو الخارج من القدس يكون أقرب الأبواب إليه لدى مغادرته إلى الخليل، وسمي أيضا بباب يافا أو باب إبراهيم.

يعلوه قوس نصف مستدير منقوش عليه عبارة (لا إله إلا الله وإبراهيم خليل الله). وقد تم بناء هذا الباب في عهد هيرود الثاني سنة 40/ 44 م فتاريخه يساير تاريخ باب العمود والساهرة.

كان المسلمون يعتقدون بأنه سوف يقتل المسيح عيسى المسيح الدجال عند مدخل باب الخليل. وفي عام 1538 م / 945 هـ جدده السلطان سليمان القانوني[3].

5- **باب النبي داود:** ويقع هذا الباب في الجهة الجنوبية أيضا من مدينة القدس وسمي بهذا الإسم لأنه يؤدي إلى مقام سيدنا داود (عليه السلام) يقع هذا الباب على جبل أكرا، أي الجبل الجنوبي لمدينة القدس. مكتوب على قوسه أن هذا الباب رمم في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1542 م.

---

(1) غوشه، محمد هاشم موسى، فتح بيت المقدس، 1995م،ص 23.

(2) المصدر نفسه،ص 23.

(3) المصدر نفسه، ص 40.

obeikandl.com

6- **باب المغاربة:** سمي هذا الباب بباب المغاربة لأنه يفضي إلى حي المغاربة بجوار المسجد الأقصى المبارك ويقع في الجهة الجنوبية من سور المدينة. هناك تسميات أخرى لهذا الباب منها الباب الصغير لأنه صغير نسبيا ويفضي إلى منطقة سلوان، أو باب القمامة لأنه يفضي على ناحية وادي الجبانة أو التربيون الذي يعتقد أنه كان وادي القمامة، كما أنه يسمى بباب الموتى لنفس السبب لعلاقته بوادي الجبانة. وباب الدباغة لأنه يفضي إلى سوق الدباغة. وكذلك سمي بباب الدمن.

7- **باب الأسباط:** يقع في الجهة الشرقية للسور المتصل بالمسجد الأقصى المبارك وهو يفضي إليه ويسمى بباب السباع لأنه يعلو بابه العلوي صور لسبعين – وهما شعار الظاهر بيبرس. وقد سمي بباب الأسباط نسبة إلى الأسباط الاثني عشر. وسمي بباب ستيفن أو ستيفانوس وباب بنيامين ومن أسمائه باب الغور أو باب الأردن لأنه يفضي إلى طريق الأغوار. كما أنه يفضي إلى وادي قدرون. يعلو الباب قوس كبير نقشت عليه كتابة باللغتين العربية والتركية يبدو فيه أنه رمم في عهد السلطان العثماني سلميان القانوني وأن الذي أشرف على الترميم هو الحاج حسن أغا.

8- **باب الزاهرة أو الساهرة:** يقع ما بين باب العمود وباب الأسباط من الجهة الغربية الشمالية، يفضي إلى شارع صلاح الدين خارج سور المدينة. يعلو هذا الباب مشكاة كبيرة وثلاثة أبراج كما أنه عرف بباب هيرودوس وباب ساحة الجيش في العهد الروماني. وسمي بباب الورد أو باب الزهور وكذلك بباب الغنم لأن سوق الأغنام كان يعقد اسبوعيا أمامه. وقد جرى عليه الترميم كما جرى على غيره من الأبواب في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني عندما أعاد ترميم سور القدس القديم.

هناك أبواب أخرى لمدينة القدس غير هذه الأبواب.وقد ظهرت في عصرها واختفت فيما بعد، ولعل سبب اختفائها لعدم الحاجة إليها، وإليك ما تم ذكره في كتاب السيد محمد هاشم موسى غوشه في كتابه" بوابات بيت المقدس، حيث يذكر هذه الأبواب قائلا:

أولا: باب دير السرب (باب المحكمة)، باب غير معروف في عصرنا الحاضر، وكان موجودا قبل ثلاثة قرون، حيث ذكره الرحالة عبد الغني النابلسي، ويقع إلى الشمال الغربي من المدينة. ولعله أقيم في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني عندما رمم سور القدس ثم أعيد وأختفي هذا الباب لبعد الحاجة إليه.

ثانيا: باب الداعية – ذكره النابلسي في رحلته (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) وقال إنه يقع إلى الشمال موصلا إلى حارة بني زيد.

ثالثا: باب الرحبة – ذكره النابلسي في رحلته تحت عنوان (باب الرحبة الواسعة والحضرة النورانية) كان يقع إلى الشرق باتجاه باب الأسباط.

رابعا: باب الأرمن – كما ذكر سابقا في رحلة النابلسي قائلا (... يقع إلى الغرب باب صغير يلصق في دير الأرمن..)[1]

هذه الأبواب فتحت في ترميم سور بيت المقدس في عهد السلطان العثماني وتم إغلاقها فيما بعد.

(1) المصدر نفسه، ص 70.

obeikandl.com

الفصل الثاني

المبحث الأول

القدس من عهد الساميين إلى عهد اليبوسيين

المطلب الأول: القدس العربية السامية

اشتق اسم الساميين، من سام بن نوح (عليه السلام) الذي ولد قبل الطوفان بمئة سنة، وتوفي بعده بخمسمئة سنة، أي أنه عاش ستمائة سنة، وهو أبو العرب، وفارس، والروم، وكان هو القيّم بعد نوح في الأرض، ومن ذريته الأنبياء كلهم، عربهم، وعجمهم، وجعل الله في ذريته النبوة، والكتاب، ونزل بنوه سرّة الأرض، وهو الذي اختط مدينة القدس، وأسس مسجدها، وكان ملكا عليها[1].

ولأهمية مدينة القدس، وقداستها دار خلاف حول نشأتها، ومن أنشأها أول مرة، رغم ثبات الرأي القائل، بأن بناتها الأوائل هم اليبوسيون، ولعل أهم الآراء الذي نراه جديراً بالمناقشة، ذلك الرأي القائل بأن أول من بناها، وسكنها، وسماها، سام بن نوح، وأنها ترجع في نشأتها إلى سيدنا نوح "عليه السلام".[2].

ولهذا فقد سمّوا بالساميين، على أساس أنهم كانوا متسلسلين من الأب الأكبر لنوح "عليه السلام"، غير أن هذه التسمية من وجهة علمية هي تسمية (لغوية)وتطلق على الذين تكلموا لغة سامية، فاللغات السامية كما هو معترف بها اليوم، هي مجموعة لغوية خاصة، تضم اللغة الآشورية، والبابلية، الكنعانية، والآرامية، والعربية، والعبرية، والحبشية، ولا بد من الاستنتاج بأن بعض الأسلاف الذين تكلموا هذه اللغات يشكلّون جماعة واحدة[3].

هاجر الساميون من جزيرة العرب منذ عصور موغلة في القدم، ضمن عدد من الهجرات، فكانت الهجرة الأولى صوب العراق، فشكلت الآشوريين، والأكاديين، والموجة الثانية، صوب مصر، والموجة الثالثة، صوب بلاد الشام وفلسطين.

أي أن الساميين كافة كانوا مرتبطين ارتباطا مباشراً بالدين، أي أنهم كانوا أهل عقيدة وتدين، ويبدو ذلك بتأثير عظيم على مناحي حياتهم المختلفة، ولا ريب في ذلك، فهم من سلالة نوح النبي

(1) الحنبلي، مجير الدين، الأنس الجلي في تاريخ القدس والخليل، ج1، عمان مكتبة المحتسب، 1973م، ص22.
(2) ظاظا، حسن، القدس مدين ة الله أم مدينة داوود، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1970م، ص 9.
(3) حتي، فيليب، تاريخ،سوريا ولبنان وفلسطين، ج2، بيروت، 1958م، ص 66.

الموحد، وكرّست العبادة عندهم في عبادة إله واحد، وما عثر عليه من نقوش في بقاع مختلفة من بلاد الساميين، هو أنّ إلهاً واحداً كان مسكنه في الأعالي، هو الذي كان محوراً للعقيدة السامية، عرف بالاسم (أيل El)، ووصف بعلو المكانة والمنزلة، وكانت ترتكز على عقيدة التوحيد، والتي تبتعد في جذورها في التاريخ متجاوزة نوحا إلى آدم"عليهم السلام"،وأن دعوة اخناتون التوحيدية المصرية، لم تحدث إلا بتأثير من عقيدة التوحيد السامية، وإذا أكدنا الاتصال المباشر على جميع الصعد، ما بين الممالك الكنعانية، وخاصة مملكة القدس اليبوسية، وبين مصر الفرعونية، خلافا لما ذهب إليه الباحثون، من أن دعوة اخناتون التوحيدية، سبقها الساميون بزمن بعيد،وأن من بين المدن السامية، كانت مدينة القدس، التي كانت بها عبادة محلية.

ويشير المؤرخ هـ. ي، فرانكن H.J. Franken، في مقاله "القدس في العصر البرونزي 3000-1000ق.م " بأن تاريخ القدس في الألف الثاني قبل الميلاد، هو تاريخ فترة لم تكد تصلنا منها أية وثائق تاريخية على الإطلاق، ولما كانت المعلومات التاريخية الحقيقية المتوفرة لدينا حول المراحل المبكرة من حياة المدينة ضئيلة للغاية، فسوف نسمي هذا الفصل " التاريخ الأول -History Proto" للقدس، أي "التاريخ السابق للتاريخ المدون"، وما نعرفه تاريخيا عن القدس، في العصر البرونزي، يمكن قوله بكلمات قليلة، إن حقيقة وجود مستوطنة في العصر البرونزي، أعطيت منزلة رفيعة كسلف للمدينة المقدسة في تاريخ متأخر كثيرا ".[1]

المطلب الثاني: العرب الساميون هم البناة الأوائل للقدس

يرجع سكان فلسطين الأوائل، وجوهرتها القدس الشريف، كما هو معروف، إلى أصول سامية، والساميون عرب، وقد عزز هذا الرأي، الدكتور أحمد سوسه، في كتابه: "العرب واليهود في التاريخ"، بقوله "ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء وقد كانوا كلهم عربا، هاجروا من جزيرة العرب، إثر الجفاف الذي حلّ، بها فعاشوا في وطنهم الجديد كنعان، أكثر من ألفي سنة، قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين، وثقافتهم، وحضارتهم، وتقاليدهم.[2]

(1) فرانكن، هـ. ي، القدس في العصر البرونزي، 3000- 1000ق. م، ترجمة د كامل العسلي، القدس في التاريخ، عمان المكتبة الأردنية، 1992م ص 19.

(2) سوسه، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، بغداد، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، 1973م ص 57.

أيّد هذا الرأي، المؤرخ الكبير، مصطفى مراد الدباغ، قائلا "إن هؤلاء الساميين جميعا طبقات متتابعة من العرب، وإن اختلفت أسماؤهم، وإن بلادهم جزيرة العرب، ظلت منذ عصور متناهية في القدم خاصة بهم، وما دراستنا لتاريخهم، إلا دراسة لبعض الأقوام العربية البائدة."[1]

يرى بعض الثقات من المؤرخين الأوروبيين، أن العرب والساميين شيءٌ واحد.

وأورد ابن خلدون في مقدمته، قائلا "أول ملك في فلسطين في فجر تاريخها كان للعرب."[2]

لا نجانب الصواب، إذا اعترفنا حقيقة، بأن العرب هم ساميون، ولا أدلّ على ذلك من القول بالحقيقة الراسخة حتى الآن وهي:

"أن العرب هم أحد الشعوب السامية، وأن العمالقة من أقدم العرب، أما إن اختلف التفسير في كون الهجرات الأولى من الجزيرة العربية سامية، أم عربية، فإن التاريخ يثبت وجود قبائل وأقواما من العرب، كانت على أرض فلسطين، قبل مجيء بني إسرائيل، أو العبرانيين إليها، وأولها العماليق."[3].

يدعم هذا الرأي الباحث "حنا الفاخوري" في كتابه، الجامع في تاريخ الأدب العربي" الأدب العربي القديم "العرب من الشعوب السامية التي استوطنت الجزيرة العربية، وآسيا الصغرى إلى الفرات، وكان لهم صلة الأصل بالعبرانيين، والفينيقيين، والآراميين، والسريان، والبابليين،والآشوريين، وكلهم من أرومة واحدة، جانست ما بين لغاتهم، وقربت ما بين تكوينهم الفزيولوجي،والنفسي، والعرب ذوو تاريخ عريق أيضاً، ابتدأ حوالي القرن الأربعين قبل الميلاد، وكانوا في نظر عدد كبير من العلماء، مصدر موجات كثيرة، اندفعت على الأقاليم المجاورة، وعرفت بالموجات السامية"[4].

" وهناك ذِكر لشعوبٍ عدةٍ، ورد اسمها في الأدب القديم، والحديث، سكنت القدس، وكانت لها صلة بشكل ما في المدينة، وفي أثناء العصر البرونزي المتوسط، كان سكان القدس بوجه الاحتمال من "العموريين " ويمكن استنتاج ذلك من الاسمين اللذين حفظتهما لنا نصوص اللعنة، ومن اسم المدينة نفسها بوصفه عموريا."[5] ولذلك فإن جميع القوانين والطقوس والاحتفالات والأغاني والأمثال الإسرائيلية وما شاكل ذلك مما يتصل بالزراعة، استعيرت من العموريين الكنعانيين، الذين كانوا يعيشون في البلاد، قبل أن يأتي العبرانيون إليها."[6]

---

(1) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج10، كفر قرع، دار الهدى، 1991م ص 381.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 10، بيروت، دار الكتب العلمية،1992م .

(3) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة، بيروت، دار الاستقلال، 1991م، ص 19.

(4) الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ط 3، بيروت، 1995م ص 7 .

(5) فرانكن، هـ ي، سبق ذكره ص 30.

(6) المصدر نفسه ص 41 .

المطلب الثالث: القدس الكنعانية العربية

ما دمنا في هذا السياق، وأوضحنا بأن القدس سكنها الساميون، كان لا بد لنا من التعريف بهم.

أصل التسمية: سميت بلاد فلسطين بأرض كنعان، من المادة السامية، والتي ما زالت في اللغة العربية (ك. ن. ع)، والتي تدل على الانخفاض، وقد وردت هذه الكلمة في جميع اللغات السامية القديمة، بمعنى الانخفاض، والخضوع، أي الأرض المنخفضة عن غيرها، كأرض لبنان العالية، أما اسم فلسطين هذا الذي وضع في دوامة البلبلة، والتيه، والضياع، وحين رده الباحثون إلى أصول يونانية، فقد ورد هذا الاسم في نصوص العهد القديم، في التوراة بصيغة (فلشتم)صيغة الجمع لمفرد (فلشت)، بمعنى فلاح.[1]

والكنعانيون من العرب بالاتفاق بين المؤرخين، فقد ذكر المؤرخ العربي ابن جرير الطبري، الكنعانيين في تاريخه، وقال"إنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة، فقال: عمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الشام وأهل الحجاز منهم، ومنهم كانت الجبابرة في الشام الذين يقال لهم والكنعانيون"[2]

"كما ورد ذكر كنعان في رسائل "تل العمارنه" التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم (Konkani)،وكانت هذه التسمية تطلق آنذاك على القسم الجنوبي من بلاد الشرق، المشتملة على أرض فلسطين، والتي كان قد استولى عليها تحتمس الثالث، قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما القسم الشمالي فقد كان يسمى أمورا، ويشمل لبنان وشرق الأردن،وكنعان هي نفس التسمية التي وردت في التوراة 85 مرة، أي 83 مرة في العهد القديم ومرتان في العهد الجديد، وذلك نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح "عليه السلام".

أما النص التوراتي الخاص بهذه التسمية، فقد جاء على النحو التالي "وقد ولد صيدون بكره،وحثا، واليبوسي، والأموري، والجرجاشي، والحوي، والعرقي، والسيني، والأروادي، والصماري، والحماني، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزه، وحين تجيء نحو سندوم، وعموره، وأدمه، وصبوييم، إلى لاشع."[3]

---

(1) عمرو، يونس، خليل الرحمن مدينة لها تاريخ، جامعة الخليل، منشورات مركز البحث العلمي، ط2، 1987م، ص 12.

(2) شراب، محمد محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، المدينة المنورة، حي النصر ط1، 1994م، ص 55 .

(3) سفر التكوين 10 / 19.

يذهب بعض الباحثين إلى ما هو أبعد من ذلك، كقول أحدهم إن الكنعانيين كانوا في هذه البلاد قبل سبعة آلاف سنة، إبّان بناء مدينة أريحا.

يعلل الدكتور أحمد شلبي، في كتابه "مقارنة الأديان" عن القبائل الكنعانية، واستقرارها في هذه البلاد فلسطين، بقوله(وإلى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها، قبائل الكنعانيين، حوالي 2500 ق.م واستقرت على ضفة الأردن الغربية، منسابة نحو البحر المتوسط، وسميت هذه المنطقة باسمهم، فأصبحت تدعى (بأرض كنعان).[1]

بقي الصراع محتدما بين الكنعانيين أهل البلاد الأصليين، والأمم الغازية لبلادهم فلسطين، مثل الخبيرو، أو العبيرو، وبنو إسرائيل،والأمم اللاحقة، طيلة وجودهم في هذه البلاد.

لقد امتد الصراع بين بني إسرائيل والكنعانيين والفلسطينيين إلى أيام التيه حيث دخل الإسرائيليون في صراع حقيقي مع الفلسطينيين بقيادة يشوع بن نون رغم تحقيقهم بعض الانتصارات، إلا أن الفلسطينيين لم يتنازلوا عن تواجدهم في مدنهم، حتى في أوج عظمة الممالك الإسرائيلية، وكذلك في عصور الفراعنة، والروم، والفرس فالكنعانيون هم أهل البلاد الأصليين، وهم ساميون عاشوا في بلادهم فلسطين قبل مجيء الخبيرو والعبيرو وكان وجودهم في بلادهم قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل "عليه السلام" إلى هذه الديار[2].

يعلل السيد أنيس فريحه في موضوعه أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها "أن كلمة كنعاني مرادفة للفينيقي، والفينيقي مرادف للتاجر، فبلاد كنعان امتد تاريخها على طول الشاطئ، وفي الداخل شملت فلسطين كلها وقسماً كبيراً من سوريا.

ولكي نخرج من دائرة البحث عن أصل كلمة كنعان، يجدر بنا العودة إلى ما طرحه الأستاذ يونس عمرو في كتابه (القدس مدينة الله) حيث أورد ما يلي [وفي معرض الرد على هذا الاعتقاد نقول: أن الاسم كنعان ما كان اسما لشخصية من سلالة أبناء نوح، ولم يكن ابنا لا لسام ولا لحام، بل هو اسم الأرض التي سكنها الكنعانيون يوم أن هاجروا مع إخوانهم من أرض الجزيرة ضمن الهجرات السامية فانتسبوا إليها، هذه الأرض التي عرفت بهذا الاسم لانخفاضها بالنظر لأنحاء بلاد الشام الأخرى المرتفعة عنها كما سبقت إشارتنا حول دلالة مادة هذا الاسم (كنع) والتي توجد في اللغات السامية، فهي في الكنعانية والعبرية (كانع) بمعنى تواضع وذلة وخضوع، ولا يخفى ما لهذه الدلالة من ارتباط بالانخفاض،

(1) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، ط10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1992م، ص 48.

(2) فريحه، أنيس، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، دراسة لغوية، سلسلة العلوم الشرقية، الحلقة 27، بيروت، الجامعة الأمريكية، منشورات دار العلوم والأدب، 1956م، صxx1 .

أما في الآرامية فهي (كنع) بنفس الدلالة، ولكنها في اللغة العربية تدل على الانخفاض بصراحة ووضوح فيقال: أرض كانعة، بمعنى أرض منخفضة[1].

أما ما ورد من الاعتقاد بأن التفكك والانحلال قد حل في رابطة الكنعانيين بالعبريين قبل خروجهم من الجزيرة، وما ترتب على ذلك من رد العبريين نسب الكنعانيين للحامين وليس للساميين في العهد القديم، فهذا مما لا يقوم عليه دليل أو سند صحيح، بل أن بعض الباحثين ومنهم من اليهود أنفسهم قد أقر علنا بوجود العلاقة الطيبة بين العبريين والكنعانيين على طول عصور مختلفة، فهذا يعقوب إيزاكس (اليهودي)يقول ما معناه باللغة العربية" لقد بقي الكنعانيون على علاقة طيبة بالشعب اليهودي على مدى قرون عديدة [2][3]

كانت المدن الكنعانية تتألف من دول مدينيه تتقاتل فيما بينها، وكانت تجمعها الحروب الخارجية، وقد برهن الكنعانيون على أنهم شعب مسالم يهتم بحياته، واستصلاح أرضه، وبناء مدنه، ليس فيه طبيعة عدوانية، أو توسعية، بل هو شعب مرفَه، وقد برهن على هذه الرفاهية، ما كانت تتمتع به بلاده من خيرات،وحضارة، وعمارة، وفي عهد الفرعون (تحتمس الثالث) اضطروا إلى التحالف فيما بينهم عام 1479ق.م ضد الفرعون المصري في مجدو، وعندما عاد (تحتمس الثالث) إلى مصر أخذ معه ما يدل على ثراء الكنعانيين، وبذخهم، وتفننهم في العيش في بلادهم فلسطين، العربات المطعمة بالذهب، وأسرة من العاج، وأواني،وسيوف وتماثيل من الذهب، كما أخذ معه 7 آلاف كيس من الحنطة، وفي كتاباته أسماء 118 مدينة يعتقد أنها المدن التي اقتحمها في بلاد كنعان، وقد تحولت الدويلات أو المدن الكنعانية إلى محميات مصرية بعد ذلك.[4]

ولا أدل على براعة الكنعانيين، وقدراتهم في العمل، ذلك النحت والأنفاق الطويلة تحت الأرض، والتي استعملت لجر المياه إلى مدينة القدس، ومن أهم هذه الأنفاق، نفق مدينة جازر(أبو شوشه) التي تبتعد عن القدس 35 كم، بالإضافة إلى نفق عين سلوان، الذي دخل منه سيدنا داود واستولى على المدينة المقدسة من أيدي الكنعانيين، والذي قام بحفره اليبوسيون: وهم فرع من الكنعانيين، حيث سحبوا إليه المياه من عين جيحون.[5]

---

(1) أنظر كنع (wJesenius> Hebrow and English Lexicon of The O.T) وانظر ابن منظور، لسان العرب (كنع)

(2) أنظر : J. Isaacs ، Our People Hestory Of The Jews.Vol,1.P,113 }.

(3) القدس مدينة الله، مصدر سبق ذكره ص 10و11.

(4) سوسه أحمد، العرب واليهود في التاريخ، مصدر سابق، ص 11و33.

(5) الحوت، بيان نويهض، مصدر سابق، ص 23.

كما أنهم برعوا في أمور عديدة من الحضارة في كافة المجالات الزراعية، والصناعية، والطب، والثقافة، واكتشاف الأحرف، وقد علمنا من آثارهم أنه كانت لهم كتب، ومؤلفات في عديد من العلوم،والفنون، وكانت لهم أسفار، ومن هذه الكتب نفهم أنهم كانوا يعبدون الأصنام، وصنمهم "بعل" ومعناه الرب (السيد) أي أنه إله الشمس، ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بمعنى (السيد أو الزوج).

قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾[1] ومن أقدم المدن الباقية إلى اليوم أريحا، واشدود، وعكا، وغزة، والمجدل، ويافا، والمدن التي تغيرت أسمائها بمرور الزمن، يبوس (القدس) وشكيم (نابلس) وبيسان (بيت شان) وصديم (حطين).[2]

المطلب الرابع: حياة الكنعانيين العمرانية

بنى الكنعانيون الصهاريج فوق أسطح المنازل، وكما هو معلوم، بأن مدينة القدس ليس بها أنهار، أو عيون ماء، تغطي حاجة السكان، فكان لا بد من استغلال مياه الأمطار، مما دعا السكان المحليين الاستفادة من المياه التي تجمع في فصل الشتاء، وهذا النظام معمول به على مدى الأزمنة في المناطق التي تفتقد إلى مصادر المياه الطبيعية، وتعتمد في ريها وزراعتها على مياه الأمطار.

الكنعانيون ساميون، وهم أهل البلاد الأصليون، عاشوا في بلادهم فلسطين، منذ أزمان موغلة في القدم، وكان وجودهم قبل مجيء قبائل الخبير، والعبيرو، وقبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل(عليه السلام) إلى فلسطين، وهناك العديد من الأدلة على صدق دعوانا،وقد ورد في إصحاحات التوراة ما يلي:

- "فأخذ أبرام وساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجا ليذهبا إلى مكان شكيم إلى بلوطة موره وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض"[3]

أما الفلسطينيون فهم أهل البلاد قبل غيرهم، وقد ورد اسمهم صراحة في العديد من النصوص التوراتية، التي تثبت أنهم أهل هذه البلاد، وأنهم كانوا فيها قبل قدوم الأمم الأخرى إليها، ومن هذه النصوص:

_ "فذهب اسحق إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين على جرار."[4]

أي أنه كان للفلسطينيين ملك وحضارة قبل مجيء اسحق بن إبراهيم، وكان له مواشي من الغنم، والبقر، فحسده الفلسطينيون.

---

(1) القرآن الكريم، سورة الصافات، رقم الآية 125.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، مصدر سابق ص، 42.

(3) سفر التكوين، 12/ 7.

(4) سفر التكوين، 26 / 2.

_ "وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم طمسها الفلسطينيون."[1]

فإذا استطردنا في العديد من النصوص التوراتية نجد أن هذه البلاد كانت لأهلها الأصليين الفلسطينيين، وأننا سنخرج بالنتائج الآتية:

1- ثمة العديد من النصوص التوراتية التي تذكر اسم الفلسطينيين صراحة، وأنهم هم أهل البلاد قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل وموسى (عليهم السلام) إليها.
2- كثيرة جداً تلك النصوص التوراتية، التي تنص صراحة على كلمة الفلسطينيين.
3- تذكر هذه النصوص، أن سيدنا إبراهيم كان غريبا هو وذريته في أرض الفلسطينيين، وأن الأرض التي دخلوها لم تكن لهم.
4- إن الأسماء التي وردت، كانت معروفة قبل مجيء العبرانيين، وكان في هذه البلاد حضارة ومدن عامرة وممالك قائمة.
5- كان للفلسطينيين مملكة، وحكام، وشعب وملك،مثل أبي مالك ملك الفلسطينيين.
6- منذ عهد سيدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب وبقية الأنبياء (عليهم السلام) لم تذكر التوراة أرض إسرائيل صراحةً، بل تنص على أن هذه الأرض هي أرض الكنعانيين والفلسطينيين.

المطلب الخامس: القدس ومكانتها الدينية

القدس من أهم المدن التي تختص بها عبادة محلية، وتشارك في نهج العبادة الكنعانية، إلى جانب غيرها من المدن، ويبدو أن هذه المدينة كانت تشارك في أصل العبادة منذ البداية، كموطن لعبادة إله النار، أما ممارسة الطقوس المختصة بتقديس النار المرعبة في بدء نشأتها منذ ورود ذكر المدينة في وثائق تل العمارنة، باسم (نينورتا)، هذا الاسم الذي اتضحت أبعاده أكثر، إذا علمنا أن موقع إله النار الكنعاني "مولك" كان في جنباتها، وتحديداً في وادي جهنم، حيث كان يصنع من النحاس على هيئة جسد إنسان، له رأس عجل، يطوِّقه إكليل، ويقعد على مقعد، مادٍ ذراعيه، وكان الصنم، والمقعد، مجوفين توقد فيهما النار.

يفزع المتعبدون لقساوة هذا الإله، وفداحته، والذين يقدمون له القرابين البشرية يفرون منه بعد الفراغ، إلى رأس الجبل، إلى الإله (شالم) إله السلام، وقد عثر في وثائق رأس شمرا، على قصة، مولد إلهين- سحر: نجمة الزهراء و- شاليم: الذي يفيض بالنور، حتى أنه كان إلهاً لسكان القدس بخاصة، وللكنعانيين بعامة.

(1) سفر التكوين، 26/ 15.

وإن نقشاً بالرسم الكنعاني المتأخر، قد عثر عليه داخل نفق (عين سلوان)، يروي حكاية شقه في الصخر، ويفهم من هذا النقش، أن النحاتين كانوا فريقين: الفريق الأول، بدأ بالحفر من النبع متجهاً تحت الجبل نحو أسوار القدس. والفريق الثاني، بدأ بالحفر من قلب المدينة، متجها نحو النبع، إلى أن التقيا تحت الجبل.[1]

بالرغم من اشتهار الحضارة في أمور عدة، فإن القدس الواقعة ضمن هذه الحضارة، كانت تقع بين حضارات ما بين النهرين شرقا ومصر غربا، وكانت محط أنظار الغزاة، فكان لا بد من تأمين جميع وسائل الحماية، والدفاع عنها من الغزاة، من قبل أهلها لبناء الحصون،والأسوار، لمقاومة الطامعين، وهذا ما ثبّت أهلها الأصليين الكنعانيين، أمام الهجمات الخارجية سنين طويلة.

ليس الهدف من دراستنا في هذا الجانب – الساميين أو الكنعانيين- لأن المقام يطول بنا في هذا البحث، بيد أن الهدف الرئيس من الدخول إلى هذين الموضوعين هو، ارتباط هذه البلاد بالجذور التي سبقت هذه الأمم اللاحقة، وإبراز مكانة فلسطين في الحضارة القديمة، وتبيان مكانة القدس، بأنها بنيت قبل آلاف السنين، وسماها سكانها وأصحابها الشرعيون الذين ننتمي بأصولنا إليهم، وأنها بلاد عربية، وباعتراف مشاهير المؤرخين، الذين أثبتوا في مراجعهم، أن أصل هذه البلاد للعرب، وأن العرب الكنعانيين، يرجعون إلى الأرومة السامية. وإن الأمم اللاحقة التي جاءت إلى هذه البلاد، عبارة عن أمم قد مرت عليها في مراحل متفاوتة، وكل أمة تركت لها أثرا،وليس ملكهاً حكراً على هؤلاء القوم،اليهود الذين يدّعون ملكيتها، وأنها هبة لهم، منكرين حقوق الآخرين، وأنهم هم البناة الأوائل لها، ولم يسجل التاريخ قبلهم من أحد، ولم تتبعهم حضارات من بعد.!

المطلب السادس: الحق التاريخي

لا شك أن الحضارة العربية كانت منذ القدم في هذه الديار، وقد حكمها الآشوريون، والبابليون، والفرس، والرومان، والبيزنطينيون، والصليبيون، والاستعمار البريطاني،غيرهم... وإن الفترة المثالية، كانت وما زالت للعرب المسلمين، لأنهم هم العنصر الوحيد الذي حافظ على تواجده فيها، على مرّ العصور، وما زال حتى وقتنا الحاضر، فهذه البلاد ترجع أصلاً وعرقاً وعقيدةً لأبناء هذا الشعب العربي الكنعاني الفلسطيني المؤمن، الذي أعزه الله بالإسلام، وما زال متمسكاً بأرضه، ووجوده، على الرغم من الأمم التي مرت عليها، فبلاد فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، عرقاً وجغرافياً واقتصادياً وسياسياً وعقدياً، حتى في فترة بروز حكم سيدنا داود وسلميان التي لم تتجاوز الثمانين عاماً، لم تستقر هذه البلاد من غارات أصحابها عليهم في هذه الممالك، بل كان الصراع محتدما،

(1) عمرو، يونس، القدس مدينة الله، سبق ذكره، ص 35.

بين أصحاب البلاد الأصليين الفلسطينيين، والأمم الغازية، وهذا ما سجلته كتب التاريخ، وعلى رأسها كتب الفريق الآخر، الذي يعترف صراحةً، بهجمات الفلسطينيين على ممالك بني إسرائيل. إذن فالحق التاريخي يرجع أولاً وأخيراً إلى أصحابه الشرعيين، الذين يعتبرون بحق بأنهم هم أهل البلاد، الذين عاشوا فيها وما زالوا منذ آلاف السنين.

هناك رأي طريف ورد في كتاب (فلسطين القضية الأرض الشعب) لبيان نويهض الحوت مفاده "والرد المنطقي على ادعاء اليهود بحقهم في بناء دولة إسرائيل عام 1948م استنادا لدولتهم الغابرة منذ آلاف السنين، هو استحالة إعادة تقسيم الدول على الكرة الأرضية بناء على التاريخ الغابر، ولو صح ذلك لكان في الإمكان عودة الحكم العربي على أسبانيا مثلا، وعودة حكم أسبانيا إلى أمريكا الجنوبية والمكسيك، وعودة حكم المكسيك إلى قسم من الولايات المتحدة، وكذلك عودة حكم بريطانيا إلى الولايات المتحدة، بالإضافة إلى الاستحالة الواقعية والسياسية، فإن مبدأ الحق التاريخي نفسه لا وجود له في المبادئ السياسية الحديثة، ولم يكن له أي شأن في تاريخ العلاقات بين الأمم أو في نشأت الدول، حتى لو افترضنا أن هذا المبدأ قائم، وتناولنا الفرضية الإسرائيلية نفسها، فالشعب الفلسطيني لا الإسرائيلي يصبح صاحب الحق الأقوى، إن لم نقل الأوحد في أرض فلسطين، فالفلسطينيون هم أصحاب الأرض وسادتها منذ آلاف السنين، حتى قيام الدولة الصهيونية في منتصف القرن العشرين، وهم أصحاب الحق التاريخي البعيد الجذور، وأن تواجدهم لم ينقطع يوما إلا بنجاح التآمر الصهيوني الدولي، بدءاً من وعد بلفور، وانتهاءً بقرار التقسيم.[1]

أما الماضي التاريخي بما فيه من شواهد، يؤكد صدق دعوانا، وأننا أصحاب البلاد الأصليين وأن أجدادنا الكنعانيين هم البناة الأوائل لحضارة وتاريخ القدس وبالرغم من الأدلة العلمية وحتى التوراتية التي تشهد على قدم حضارتنا، فما زال هناك بعض المنصفين اليهود الذين ينشرون مقالاتهم على الصحف الإسرائيلية في عصر علو بني إسرائيل المعاصر ليبرهنوا للعالم بأنهم ورثوا الحضارة عن الكنعانيين، وها نحن ننقل ما جاء في صحفهم نصاً وروحاً، وما تحدث به مؤرخوهم وآثاري وهم، وما يعترفون به صراحة عن مدينة القدس، حيث صدر مقال يذكر فيه، بأن مدينة القدس كانت مدينة محصنة، أقيمت قبل ألف سنة من قدوم بني إسرائيل فيذكر الدكتور رايخ في مقال نشر له قائلا فيه:

"يجب أن ننحني تقديراً وإجلالاً للكنعانيين." إن الاكتشاف الأثري المثير في القدس الذي في أعقابه –حسب رأي سلطة الآثار الإسرائيلية – ستكون ثمة ضرورة لإعادة كتابة كتب التاريخ عن القدس،هو، مكتشفات أثرية تثبت بان الملك داود لم يحتل قرية كنعانية بائسة، مثلما اعتقد الباحثون وحسب هذه

(1) الحوت، بيان، فلسطين، سبق ذكره، ص 4.

المكتشفات، احتل الملك داود مدينة محصنة ومحاطة بأسوار عالية، أقيمت من قبل الكنعانيين، قبل 800 سنة من الاحتلال، فقد توصل الباحثان الدكتور رايخ وراني شوكرون حيث تم اكتشاف أسوار كبيرة من العهد الكنعاني 1800 ق. م، لم تكن معروفة من قبل، وتحيط الأسوار بعين جيحون وهي مصدر المياه الوحيد في المدينة، إضافة إلى ذلك فقد تم اكتشاف قناة نفق حفرها الكنعانيون داخل السور، ويؤدي النفق من العين إلى داخل المدينة، وهو يتصل مع شبكة (بئر وورن) التي اكتشفت عام م1867م من قبل الباحث البريطاني (تشارلز وورن).

يقول العالم الأثري روني رايخ(إن شبكة المياه التي تدعى ببئر وورن، والتي منذ اكتشافها، نسبوها إلى الملك داود الذي حصّن المدينة، أقيمت من قبل الكنعانيين، الذين عاشوا هنا نحو ألف سنة قبل داود وسليمان، إن بئر وورن لم تكن إلا الجزء الأقل أهمية في شبكة المياه المحكمة التي أقيمت من قبل الكنعانيين، والجزء الأهم مجددا مكان الممر – النفق – الذي يبلغ طوله 120 مترا الذي شق عبر الصخور بطريقة هندسية مدهشة، ومكّن السكان من النزول إلى العين بأمان وجلب المياه منها "

الأسوار الكبيرة التي حمت العين ارتفعت إلى علو 7–8 م وهي مبنية من حجارة كبيرة، يزن كل منها 2–3 طن، وهي أكبر حجارة عرفتها القدس منذ عهد هيرودوس.يقول المهندس جدعون أفني (مهندس لواء القدس) في سلطة الآثار الإسرائيلية، إن القدرة على إقامة هذه الأسوار، وشبكة المياه الدقيقة هذه، التي لا مثيل لها في الشرق الأوسط القديم كله، تدل على قيام مدينة كنعانية محصنّة، ومحكمة قبل ألف سنة من قدوم أبناء إسرائيل إلى كنعان " لاشك أننا سنحتاج الآن إلى تغيير ما تعلمناه وان نكتب مجددا كتب تاريخنا ".

إن الاكتشاف الأثري المثير الآخر، هو مقطع آخر من سور القدس لم يكن معروفا حتى الآن، وهذا السور يبعد حوالي 30 مترا شرقي سور آخر، اعتبر حتى الآن كسورِ المدينة الخارجية.

"وضح من هذا، أن القدس أيام الهيكل الأول، كانت أكبر بضعفين مما اعتقدناه، في حين كنا نعرف أن مساحتها كانت50 دونما اتضح الآن أنها امتدت إلى 100 دونما، ويضيف أفني قائلا: أن الملك داود – حسب تعبيره – أي النبي داود (عليه السلام) في اعتقادنا نحن المسلمين، لم يكن بحاجة على أن يقيم له عاصمة محصّنة، وذلك ببساطة، لأنه احتل مدينة جاهزة، مع شبكة تحصينات هائلة، وشبكة مياه دقيقة جداً، وإن جميع الافتراضات التي افترضها المؤرخون اليهود قد انقلبت رأسا على عقب، وأصبح من الممكن إعادة النظر في هذه النظريات التقليدية على ضوء المكتشفات الأخيرة، وأن الأنفاق التي وجدت تحت القدس ما هي إلا من أعمال الكنعانيين وليس للإسرائيليين أدنى إنجاز فيها.

الكثير من المحققين اليهود اعتمدوا هذا الافتراض في أبحاثهم عن القدس، بدءاً من تشارلز وورن، الذي اكتشف بئر الماء الذي سميت باسمه عام 1867م، مروراً بمونتيغو فاركر الذي قام

بالحفريات سنة 1909م في محيط المسجد الأقصى المبارك، وريمون فابل 1913م – 1914م وانتهاء بالبروفسور يغئال شيلا، من الجامعة العبرية في القدس.

قال د: رايخ: أيضا، إنه في ظل اكتشاف النفق والسور الكبير، اللذين أقامهما الكنعانيون، يجب أن ننحني تقديراً وإجلالاً للكنعانيين.)[1]

إن هذا الحديث، أحدث كلاماً عن القدس وما فيها، وأنها مدينة كنعانية الأصول عربية الجذور، وقد أثبت الآثار يون ذلك، فانقلبت المفاهيم، وتغيرت النظريات التي وضعها حاخاماتهم.

(فماذا بقي لهم بعد هذا التوثيق التاريخي الأثري في مدينة القدس).!

المطلب السابع: القدس العربية اليبوسية

تفرّع عن الكنعانيين بطون مختلفة، كالفينيقيين، والأموريين، واليبوسيين، وكانت أماكن اليبوسيين في فلسطين، حيث اتخذوا مدينة القدس آنذاك حاضرة لهم، وسموها باسمهم (يبوس، فكلمة يبوس في اللغات السامية القديمة، تدل على (البأس) أي القوة،والخشونة، والقسوة،قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا إِلَىٰ ﴾[2]

وهذه التسمية عرف بها هؤلاء القوم، بخشونتهم، وقسوتهم،وشدة بأسهم، فقد استطاعت هذه المدينة بشدة رجالها،وقسوتهم الصمود في وجه الغزاة.

اليبوسيون، هم سكان القدس، وقد ورد ذكرهم في العديد من المصادر التاريخية،كالحفريات والآثار القديمة، كما هو الحال في عيون مياه جازر (أبو شوشه)، والحصون التي في المدينة،كما أن اسمها ورد في العديد من النصوص التوراتية، فهم أصحاب حضارة، وذوو بأس وشدة، ويجب أن يدرك الطرف الآخر (اليهود)،أن القدس بنيت قبل ظهور بني إسرائيل على مسرح الأحداث،وكان أهلها يقيمون فيها، وأن مثلهم في ذلك الاعتراف بغيرهم، لا مثلهم الإيمان ببعض الكتاب وتركهم البعض الآخر.

هذا كتاب التوراة، يدل صراحة على وجود هذه الأمة، والحضارات المتعاقبة في القدس، كالكنعانيين، واليبوسيين، وان هذه الأرض برها وبحرها عربي كنعاني يبوسي فلسطيني.

---

(1) صحيفة الحياة الجديدة الصادرة بتاريخ 24/ 7/ 1998م، ص 11 .

(2) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 5.

(واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين)[1] وقد مرت على هـذه المدينـة المقدسـة ردحـاً من الزمن، لم يكن فيها أي أثر لبني إسرائيل (فلم يرد الرجل أن يبيت وذهب وجاء إلى مقابل يبوس هي أورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه.)[2]

إن منعة وشدة هذه المدينة المتمثلة بسكانها، أسهم في عدم استطاعة الغزاة تجاوزها.

"وقالوا قد ذهبنا على الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقّ لقينا لبناً وعسلاً، وهـذا ثمرهـا، غـير أن الشعب ساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة،وعظيمة جدا،وأيضا قد رأينا بني عناق هنـاك العمـاليق، ساكنون في أرض الجنوب، والحثيون، واليبوسيون، والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر، وعلى جانب الأردن"[3]

هكذا فقد كانت فلسطين مليئة بالأمم والحـضارات، ولم يكـن هنـاك أي متـسع إلى أي شـخص غريب بأن يكون له موضع قدم عندهم، حتى أن أهل هذه البلاد عندما هاجمهم بنـو إسـرائيل توحـدوا ضدهم، وشكّلوا حلفاً عسكرياً للحيلولة دون دخولهم هذه البلاد، أي أن الطريق لم يكن ممهداً أمـامهم، وأن الأمم التي كانت موجودة، ما كانت ضعيفة حتى يسهل الاستيلاء على هذه البلاد.

فهل هناك شك في إنكار الأمم والشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد، وكانت تقيم لها حضارة ومدناً حصينة؟

سكن أصحاب هذه البلاد، وأسسوا فيها حضارات، وعمرّوها منذ آلاف الـسنين، وهـل هنـاك مجال لادعاء مدعي بأنه – الأول والأخير – في هذه البلاد، منكراً حقوق بل ووجـود غـيره، كمـا يفهـم الصهاينة اليهود العالم بهذه المقولة الزائفة؟!

"تعود أول إشارة وردت عن المدينة إلى الحفريات التي جرت في (تـل مرديـك) بـشمال سـوري، والتي أسفرت عن اكتشاف آثار لمملكة قديمة، دعيت باسم مملكـة (أيـبلا) ووجـد بـين آثـار هـذه المدينـة ألواحا، كتبت عليها اسم مدينة سالم، وهو أول اسم عرف للمدينة."[4]

فاليبوسيون الكنعانيون بنوا مدينتهم قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة، بسواعدهم، وحفـروا بيوتهـا الكلسية البيضاء بأيديهم الجبارة، وحموها بصدورهم من المعتدين الغزاة.

---

(1) سفر الخروج إصحاح 23/ 31.

(2) سفر القضاة إصحاح 19/ 10.

(3) سفر عدد، إصحاح 31/ 3.

(4) أبو عرفه، عبد الرحمن، القدس، تشكيل جديد للمدينة،، القدس، جمعية الدراسات العربية، 1985، ص 15.

تمكن اليبوسيون من حفر الأنفاق،والأحواض مما كان له شأن كبير في تاريخ بلدهم، فكانت الأشياء نسبية، وقدرت مساحتها في بداية إنشائها 16-18 فداناً وعدد سكانها قليل، يكتفون بحياة الأمطار، وبعد أن تكاثروا رأوا أن يستفيدوا من مياه عين أم الدرج.

(وقد سكنوها حيث إنهم انحدروا من الكنعانيين. والكنعانيون كما نعلم بأنهم فرع من الساميين الذين نزحوا من الجزيرة العربية، وعلى ذلك تدل شهادة ميلاد هذه المدينة على أنها كنعانية الأصل. وكان بعدئذ الصراع بين سكانها الأصليين أصحاب المدينة الحقيقيين والعبرانيين الذين أرادوا أن يستولوا على المدينة وقام اليبوسيون بتحصين مدينتهم بسور عظيم لصد غارات يوشع بن نون.[1]

كان لهذه المدينة ملوك على درجة من الوعي والمقدرة والوحدة وهم:

1- **ملكي صادق الذي هنأ سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام)** على انتصاراته في حروبه ضد (كدر لعومر العيلامي) غربي قادش وكان كنعانياً يبوسياً، وكانت القدس في عهده تسمى (شاليم) واعترافاً بفضله قدم له عشر الغنائم، وهذا الملك كان هو وجماعته من المعتقدين بعبادة التوحيد، ويبدو أنه آمن بدعوة إبراهيم الخليل (عليه السلام) وشاليم كما ذكر هو إله السلام عند الكنعانيين، وأن هذا الاسم ورد في نقش مصري قديم يرجع إلى القرن التاسع عشر ق.م، ف وذكرت القدس باسم (أور سليم)،ويحدثنا ابن العبري عن تاريخ ذلك الملك فيقول (إن ملكي صادق هو الذي بنى قرية السلام، يبوس سنة ثلاث آلاف ق. م تقريبا ومن هنا جاءت تسميتها باسم أورشا لم، كما أطلق على ملكها ملك السلام)[2]

يؤكد هذه التسمية ما ذكره قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي، في كتابه"الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل"فيقول"إن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه، واشتهر أمره حيث بلغ ملوك الأرض الذين بالقرب من بيت المقدس بالشام، فحضروا إليه، فلما رأوه وسمعوا كلامه، اعتقدوه، وأحبوه حباً شديداً، ودفعوا له مالاً ليعّمر به مدينة القدس، واختطها وعمرها، وسميت يروشالم[3]

"فإنه مما يثير الاهتمام أن ارتباط اليبوسيين بالقدس، وتأسيسهم لها يرتبط بأول مظاهر الإيمان بوحدانية الله، فقد عرف عن اليبوسيين بأنهم من أوائل الشعوب الموحدة، حيث

(1) زايد، عبد الحميد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 39.

(2) ابن العبري، مختصر الدول،بيروت، المطبعة الكاثوليكية،1890م،ص 16.

(3) بيضون، عيسى محمد، دليل المسجد الأقصى المبارك، ص 8 .

نشأت لديهم عبادة سميت باسم (آيل عيلون)أي الله العلي، ومارسوا طقوسا معينة تدل على أنهم يولون المدينة مكانة مميزة."[1]

(ولهذا فإن ملكي صادق هو أول من اختط القدس وبناها، وكان قبل ذلك يسكن هو وقومه الكهوف، وعرفوا بالتقوى وكان محبا للسلام،حتى أطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم المدينة(سالم)و (شالم). ويعتقد المؤرخون أن معظم سكان القرى في قضاء القدس يرجعون إلى أصل كنعاني، وأن لغتهم الأصلية كانت اللغة الكنعانية)[2]

2- **أدوني صادق** – ملك العدل: وهو ملك يبوسي آخر، حكم القدس، وقد قتله بنو إسرائيل بقيادة يوشع بن نون في إحدى المعارك ضد السكان الأصليين، وقتل معه ملوك آخرون من حلفائه ويظهر أن المعركة كانت في جوار المغار من أعمال الرملة ضد اليبوسيين،غير أن هذه المدينة ظلت ممتنعة حوالي مائتي سنة على بني إسرائيل، محافظة على اسمها الكنعاني، إلى أن تم اقتحامها على يدي النبي داود عام 997 ق.م،فحاصرها، وتسلل جنوده عبر نفق عين سلوان.

3- **سالم اليبوسي**: وهو من خلفاء ملكي صادق اليبوسي، الذي اشتهر بأنه شيد برجا للدفاع عن المدينة فوق جبل صهيون،[3] وقد جاء في "دليل المسجد الأقصى المبارك" أن اليبوسيين الذين ينحدرون من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية استولوا على التلال المشرفة على المدينة، وبنوا قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية عرفت باسم (حصن يبوس)،الذي يعرف بأقدم بناء في القدس.[4]

ويعلل الأستاذ(أكرم زعيتر) في كتابه القضية الفلسطينية، هذا الشأن بقوله "...والكنعانيون قبائل، من أهمها اليبوسيون الذين سكنوا القدس وجوارها، وباسمهم دعيت البلاد "أرض كنعان" ولا غرابة فقد، ظلت لهم السيادة من2500 – 1000 ق.م أي نحو1500سنه تقريبا، ومن مدنهم أريحا وبيسان وشكيم (نابلس) ومجدو وجازر، وطالما خضعت مدنهم للغزاة المصريين والبابليين والحثيين، وكذلك كانت مسرحاً للحروب بين مصر والعمالقة وبين مصر والحثيين، ولا ريب في أن الحروب بين مصر وسوريه، وما كان من انشقاق بين ملك الكنعانيين، قد مهّد للعبرانيين الاستيلاء على البلاد"[5]

---

(1) أبو عرفه، عبد الرحمن، القدس، تشكيل جديد للمدينة، سبق ذكره ص 15.

(2) عز الدين، فاروق محمد، القدس تاريخيا وجغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م، ص 19.

(3) يوسف، حمد أحمد عبد الله، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، القدس، دائرة الأوقاف الإسلامية، 1982م، ص 2.

(4) بيضون عيسى محمد، دليل المسجد الأقصى المبارك، سبق ذكره، ص 2.

(5) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، ط3، عمان، دار الجليل، للطباعة والنشر والأبحاث الفلسطينية، 1986م، ص 20.

الفصل الثالث

المبحث الأول

القدس من العهد الفرعوني إلى غزو بني إسرائيل

المطلب الأول: القدس العربية في العهد الفرعوني

خضعت القدس لحكم فراعنة مصر، فقد عثر في تل العمارنة على ألواح تضمنت رسالة من قبل حاكم يبوس، وهو (عبد خيبا) إلى تحتمس الأول فرعون مصر، سنة 1550.ق.م، والتي يطلب فيها المد العسكري لرد شراذم من الرّحل واسمهم الخبير، وهم الذين أجمع الباحثون على أنهم العبرانيون، كما أكد ذلك العالم الأثري (بند لبوري) الذي أشرف على الحفريات في تلك المنطقة، وذلك ضمن كتابه المشهور (تل العمارنة).

إذا كان هذا التاريخ وهو منتصف الألف الثاني ق.م، فإن بناء هذه المدينة لا بد وان يكون قبل هذا التاريخ بألف سنة، أي من سنة 3000ق.م-00 26 ق.م، ومن بين رسائل تل العمارنة ست رسائل بعث بها (عبد خيبا) في القرن الرابع عشر ق.م، إلى فرعون مصر (اخناتون)، الذي كانت فلسطين تحت سيادته، وهو في هذه الرسائل يشكو قلة عدد الجالية المصرية في المدينة، مستغيثا بهذا النداء،(لقد أصاب الخراب أراضي الملك، وأنت لا تلبي النداء، الحكام يذبحون، إذا ما وصلت إلينا هذا العام قوات لحفظ الأمن، ستكون أراضي الملك في مأمن، وإلا ستسقط البلاد في يد العبيرو[1]

وقد ورد اسم يبوس(القدس)،في الكتابات المصرية الهيروغليفية، باسم(يا بثي) وهو تعريف للاسم الكنعاني، ناشد (عبد خيبا) سيده المصري المساعدة، إلاّ أن النتيجة كانت سلبية، وبذلك يكون قد تقلص حكم المصرين عن المدينة(القدس)، ولم يعد حكم المصرين إليها إلا في أواخر القرن الرابع عشر ق.م، في عهد سيتي الأول سنة(1317) ق.م (1301) ق.م، كما عثر على رسالة أخرى رقمها(287)من (عبد خيبا) إلى فرعون مصر نصها، (لقد أرسلت هدايا إلى الملك سيدي تحتمس خمسة آلاف شيكل وثمانية حمالين قوافل للملك.[2].

وقد أورد الدكتور عبد الحميد زايد في كتابه "القدس الخالدة "قائلا" أما عن ذكر أورشليم في الوثائق المصرية القديمة، فقد جاء في الأثر، وهي نصوص تسمى اللعنة (Execration) جاء فيها ما يلي:

(1) جارودي، رجاء، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ط1، القاهرة، دار الغد العربي، 1996م، ص 43.
(2) زايد عبد الحميد، القدس الخالدة، سبق ذكره، ص 3.

حاكم أوشاميم، اورشاليم (ياقارعامو) وكل توابعه الذين كانوا معه، حاكم أوشاميم (سيتي: عانو)... ثم بدأ الضعف يدب في النفوذ المصري على تلك المنطقة، وانتهز الحكام هذه الفرصة، وأعلنوا أنفسهم ملوكاً، وأضحت رقابة فرعون غير ثابتة، وقد أفادت أورشليم في هذه الفترة من هذه السيطرة، غير المتماسكة، ولكن لم تستمر طويلا، وسرعان ما أصبحت هذه المدينة تابعة لسيد جديد، من الشمال هم الهكسوس، الذين اندفعوا إلى مصر واحتلوها فترة من الزمن بلغت حوالي قرنا ونصف القرن 1720-1567ق. م [1]

وطّد تحتمس الثالث حكمه على القدس، حيث تواصل حكم المصريين لها مدة مائتي عام متعاقبة، وفي عام 1221ق.م، توفي رمسيس، فخلفه الثاني ابنه(مرنبتاح) الذي شهد خروج بني إسرائيل من مصر على النحو الذي ورد في القرآن الكريم، "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين" [2] صدق الله العظيم.

توطدت العلاقة بين المصريين وسكان القدس فقد تزوج سيدنا سليمان (عليه السلام) ابنة الفرعون المصري شيشاق، إثر انقسام المملكة اليهودية (بني إسرائيل) في عهد رحبعام بن سليمان، استغل الفرعون المصري شيشاق الوضع وانقض على القدس، وعمل فيها الخراب ثم نهب خزائن الهيكل، وأكمل زحفه حتى احتل مجدو[3] على الرغم من امتداد نفوذ المصريين على القدس لمدة طويلة، إلا أنهم لم يحاولوا تمصيرها كما فعل الرومان في عهدهم.(4)

لقد كانت القدس منذ تأسيسها محط أنظار الغزاة، وكان بها حكام، ولهم اتصالاتهم مع الدول المجاورة، وكما هو الحال في جميع مراحل التاريخ، فإننا نجد أن مصر العروبة هي السند لبيت المقدس من أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر.

المطلب الثاني: القدس العربية في المرحلة الكنعانية المتأخرة

لقد تجاهل العديد من المؤرخين الفترة التي كانت في نهاية العهد الكنعاني، بقصد أو بغير قصد، حتى يتركوا المجال مفتوحا، أمام الأمم الغازية، مبررين ذلك، بأن أرض فلسطين كانت بلاداً بلا شعب، وأن من حق الغزاة أن يستولوا عليها، ويثبتون أقدامهم عليها.

---

(1) المصدر نفسه، ص 51.

(2) القرآن الكريم، سورة يونس، آية رقم 90.

(3) العارف، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط5، القدس، مكتبة الأندلس، 1999ص6.

(4) يوسف، حمد أحمد عبد الله، القدس، سبق ذكره ص، 3.

1) إن المتبصر لهذه الحقبة، لا بد أن يجد الأدلة المادية الهائلة التي تدل على عراقة هذا الشعب الذي كان يسكنها، وما كان لديه من حضارة، ومدن عامرة، وأسوار شامخة، تحيط بهذه المدن، لصد غارات المعتدين، والتي ما زالت ماثلة حتى وقتنا الحاضر، وما تزال الشواهد ماثلة أمامنا من بقايا هذه الأمم، والمكتشفات الآثارية، والمخلفات الحضارية، تبرهن على وجود هذه الأمم من صور شمالا إلى جرار جنوبا(خان يونس)، وقد عثر في مغائر (إيبلا)،وفي تل العمارنة، وأوغاريت على ألواح من الفخار، مكتوب عليها عن حضارات هذه الأمم الغابرة، كما وأن المدن التي كانت وما زالت ماثلة للعيان، مثل بيت مرسم قرية (سيفر)، وتل الدويري، ومجدو، وشكيم نابلس، وأورشليم القدس وغيرها، من المدن الفلسطينية الكنعانية القديمة، ما زالت شاهدة على عظمة هذه الأمم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال، طمس معالم هذه الحضارات، أو تجييرها لغير أصحابها العرب الأصليين.

علاوة على ما ورد في المراجع التوراتية، والنصوص، والأسفار القديمة عن هذه المدن، والحضارة السالفة، وما ورد فيها من صراع بين أهلها الأصليين، والغازين الذين امتدت حروبهم مدداً طويلة. فإن الدلائل جميعها، تشير إلى أن هذه البلاد، لم تكن خالية من سكانها، وأنهم غير منقرضين، ولم ينته تواجدهم فيها، بل أن الحضارات الكنعانية العربية المتلاحقة، تواصلت منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر، فهذه البلاد عرضة للغزوات والحروب المتعاقبة، ولكن هناك ظاهرة ما زلنا نعيشها حتى وقتنا الحاضر،ألا وهي ظاهر أصالة السكان الأصليين المتجذّرين على مر السنين، فقد غزتها الأمم الأخرى كالعبرانيين والإسرائيليين والرومان والفرس واليونان والمغول والصليبيين، وغيرهم. بل إنّ ظاهرة الغزو الأجنبي لهذه البلاد، لم تجعل من أهلها قوماً يستكينون للأجنبي، بل أنهم بقوا في أوطانهم، وأثّروا في غيرهم، ولم يستطيعوا أن يقضوا على تواجدهم الموصول، ولا على عاداتهم، أو تقاليدهم، أو عرقهم، أو جنسهم العميق الجذور. ففي كل مرحلة، كان المحتل يتعايش مرحلة محددة، بيد أنه لم يكن مستقراً، حيث أن المقاومة كانت متواصلة من قبل أهل هذه البلاد.

أما القدس العربية فقد بقيت شامخة بأصالتها، وإن اختلفت الحضارات المعاقبة عليها، أما أهل هذه البلاد الذين عاشوا فيها منذ أزمنة موغلة في القدم، وانتشروا في أرجائها، فقد طغى عليها اسم فلسطين، بحكم أن اسم فلسطين أصبح علماً عليها، فمهما اختلفت التسميات، وتعددت الأسماء، فإن الأرومة العربية قد حافظت على زخمها وتواجدها.

المطلب الثالث: الشواهد التاريخية على عروبة القدس

هناك العديد من الشواهد التاريخية، والمكتشفات الآثارية التي تثري موضوعنا هذا الدالة على أصالة وعروبة هذه الديار، قبل أن يأتي إليها بنو إسرائيل، ولكن لأسباب لا تخفى على أحد، فقد استطاع دعاة التغريب أن يطمسوا ويدلّسوا على العالم، بأن هذه البلاد لم يكن بها أحد،علما بأنهم من أكثر وأغزر المراجع في هذا الشأن الذين يثبتون في مراجعهم ومصادرهم التاريخية والعقدية، بأن بلادنا فلسطين كانت تزخر بالحضارات العربية الأصيلة.

هناك مراجع أخرى نستدل بها على هذه الأصالة العربية، ألا وهي المكتشفات الآثارية، والمدن التي مازالت ماثلة للعيان، بآثارها العميقة الجذور، والتي كانت تعرف بأسمائها، وظلت تحافظ على مسمياتها، إلى أن جاء بنو إسرائيل، وجيّروا هذه الأسماء واختلسوها لصالحهم، وقاموا بتقسيم هذه المدن بين أسباطهم، وهم شهود على هذه الأسماء والمسميات،ولا أدل على ذلك من أن القدس كانت تتزعم حركة المقاومة ضد الغزاة من بني إسرائيل، حينما اقتحموا هذه البلاد، وعقدت حلفا مع المدن الفلسطينية الأخرى، وتصدت لبني إسرائيل، فلم يستطيعوا الاقتراب منها عقوداً كثيرة دامت حتى بداية الألف الأول قبل الميلادي، حيث تم اقتحامها وبصورة التفاف، ولم تكن حرب مواجهة مع أهلها، وكان ذلك بإذن الله على يد النبي داوود (عليه السلام)، أما تلك الفترات السابقة فلم يجرؤ بنو إسرائيل من الوصول إلى مدينة القدس العربية، ووقفت شامخة أمام الغزاة، حتى أنه في هذه الفترة – أي فترة الاقتحام – فإن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يخرجوا أهل القدس منها بل سكن الإسرائيليون بجوار اليبوسيين في القدس.

المطلب الرابع: القدس العربية اليبوسية والنبي داود

من المعلوم أنه بعد موت يشوع بن نون قد تراجع بنو إسرائيل في تفكيرهم العقدي، فقد ارتدوا عن عبادة التوحيد، وعادوا كطبيعتهم إلى الخروج عن الخط السليم،حيث تشبهوا بالكنعانيين أهل البلاد فعبدوا آلهتهم كبعل وعشتروت.

ظهرت فئة من هؤلاء القوم وهم ممن يعرفون بالقضاة، حيث أخذوا بجمع شتاتهم، فاستفادوا من هذه المرحلة التي دخلوا فيها أرض فلسطين، فأصبح لديهم الميل نحو الاستقرار، وقاموا بتشكيل حكم ملكي موحد، وكان على رأس هؤلاء النبي صموئيل، الذي نجح في جعل شاؤول ملكا على بني إسرائيل.

كان بنو إسرائيل في عهد القضاة في حالة بدوية، وكانت عصبيتهم تتجه نحو القبيلة، واستمروا كذلك إلى سنة 1400 ق.م حين ظهر فيهم زعيم وحّد قبائلهم وجمعها تحت راية واحدة، وقبض بيده

على زمام الحكم، وكان بذلك أول ملك في بني إسرائيل، وقد عرف في التاريخ اليهودي باسم (شاؤل) وسماه القرآن (طالوت)[1]

وقد وردت قصته هذه في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[2].

كان الفلسطينيون أصحاب البلاد، ذوي سطوة وقوة، لم يستطع بنو إسرائيل الوقوف أمامهم في ميادين القتال، وكان على رأس الفلسطينيين ملكهم الجبار جوليات الفلسطيني، الذي اشتهر بضخامة جسمه، فوقف أمامه شاؤل، حيث أراد أن يختبر جيشه ليميز المطيع من العاصي، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[3]

هذه مجريات الصراع في هذه البلاد (فلسطين) على ارض المعركة، بين الفلسطينيين بقيادة ملكهم الجبار جوليات، وطالوت ملك بني إسرائيل، الذي تراجع أمام الفلسطينيين، ولولا أن قيّض الله داود بن

---

(1) طباره، عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ط11، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، ص 273.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 246و247.

(3) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية249– 251.

يسي الذي التحق بإخوته للبحث عنهم بـأرض المعركـة، لانقلبـت مـوازين القـوى، فأخـذ داود حجـراً ورماه بمقلاعه، مما أدى إلى قتل جالوت، فكانت النتيجة أن الهزيمـة كانـت بـإذن الله، ولـيس بـالبطولات والتضحيات التي يقدمها بنو إسرائيل في الحرب أمام الفلسطينيين. وأن الله قد منّ عليه وهو مـن سـلالة إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالملك والحكمة، وأهداه طالوت ابنته لقاء صنيعه هذا، فأصبح ملكا علـى بني إسرائيل، وقد تنكّر له طالوت (شاؤول) وحاول اغتياله أكثر من ست مرات.

جمّع الفلسطينيون صفوفهم، وانقضوا علي بني إسـرائيل، فـانهزم طـالوت، وانحنـى علـى سـيفه وانتحر، بعد أن رأى أبنائه الثلاثة قد قتلوا في المعركة، فعلّق الفلسطينيون رأسه على أسوار بيسان، وهذا دليل أكيد على أن الفلسطينيين كانوا قبل مجيء بني إسرائيل، وكان لهم ملك وسطوة ونفوذ لم يجـرؤ بنـو إسرائيل الوقوف أمامهم، وكانت لهم مدن عامرة مثل بيسان وغيرها تحرسها أسوار عالية.

لم تتوقف الحرب يوما بين الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين الذين وجدوا فيهـا، وبـني إسـرائيل القادمين إليها من الخارج ولو للحظة واحدة، فكانت الحرب متواصلة تقريبـا علـى مـر الـزمن، وكانـت الغلبة للفلسطينيين في أغلب الأحيان، حتى أنهم اخذوا منهم تابوت العهد والجأ وهم إلى الجبال.

بعد أن قتل طالوت، خلا الجو إلى داود، وأصبح رئيسا على بني إسرائيل، وتوّج ملكا في الخليل، لمدة سبع سنوات وستة أشهر. ولم يتمكن من الوصول إلى القدس لحصانة أسوارها وبسالة أهلها.

(كانت هناك محاولات سابقة للاستيلاء على المدينة في عهد ملكهم يهوذا، حيث أعملوا سيوفهم قتلا في أهلها، وأشعلوا النيران بها إلا أن اليبوسيين استبسلوا في الدفاع عن عاصمتهم، ممـا اضـطر بنـو إسرائيل على رفع الحصار عنها ومبارحتها، ولم يستطع العبرانيون احـتلال المدينـة في أول مـرة وارتـدوا عنها خاسرين.

وقد وصف برستد ذلك الخسران بقوله "حين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيهـا الكنعـانيين (العرب) يقيمون في مدن زاهرة تطوقها الأسـوار الـضخمة، فلـم يـستطيعوا أن يفتحـوا منهـا إلا المـدن الضعيفة... حتى القدس هزأت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون".....

قاموا بحملة ثانية على المدينة المقدسة، إلا أن العبرانيين لم يتمكنوا من فتحها جميعها مرة واحـدة، وإنما احتلوا "المدينة السفلى" أولاً، وحالت أسوار "المدينة العليا" دون تحقيق أهدافهم، فاضـطروا للتوجـه نحو الخليل.

يبدو من نص التوراة شيء آخر، وهو أن بني "بنيامين" وكانوا من اليهود الذين سكن قسم مـنهم في القدس، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم، أي تاريخ ما كتبت فيه التوراة.

وأن ما جاء في سفر القضاة يثبت بقاء اليبوسيين في الأرض، على الرغم من اسـتيلاء العـبرانيين على بعض الأراضي قوة وعنوة.

لم يتمكن الإسرائيليون من الاستيلاء على مدينة القدس، إلا في عهد داود حيث طوقها واستولى عليها".[1]

كان اسم المدينة يبوس، نسبة إلى سكانها اليبوسيين،خلال مدتهم وهم بطن من بطون كنعان، ولما استولى عليها داود أعاد اسمها القديم (أورشليم)، واتخذها عاصمة له، ونقل لها التابوت.[2]

لم يكن الدخول إلى بيت المقدس يسيراً في هذه الحقبة، بل كان تسللا عن طريق عين سلوان حيث تم اقتحامها، وبقي أهلها يسكنون فيها باتجاه الشرق، أي حول منطقة المسجد الأقصى، وهذا دليل على تمسك أهلها بمقدساتهم التي ورثوها ولم يخرجوا منها.

هذه القدس الشامخة بأهلها الذين حافظوا على وجودهم فيها على مر العصور، رغم شدة الهجمات، لكن بسالة المقاومة حالت دون الوصول أو التمكن منها، مما ثبّت أهلها، وبقوا محافظين على وجودهم فيها حتى هذه الأيام، رغم ما تتعرض له من محاولات تسفير أو بطش أو تدمير.

المطلب الخامس: القرآن الكريم أهم المصادر على عروبة بيت المقدس.

وَمَن اصدق من الله قيلا، قال تعالى، في كتابه العزيز ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]

فقد أرسل سيدنا موسى عليه السلام اثنا عشر نقيبا، وكان على رأسهم رجلان من الذين يخافون الله، وهما كالب بن يفنه ويوشع بن نون، إلى ديار فلسطين، كي يتجسسوا من أجل الدخول إليها، بيد أنهم وجدوا شعباً جباراً ومدناً حصينةً وأسواراً عاليةً.وذكرهم الله في هذه الآية بما قال. إذن كانت بيت المقدس وأكناف بيت المقدس عامرة آهلة بالسكان الجبابرة الذين لا يمكن اختراقهم ولا الوقوف أمامهم، لأسباب الخور والضعف المتمكن في قلوب بني إسرائيل، بما عاشوه تحت حكم الفراعنة، كيف لا وأنهم كانوا يطالبون بأن يجعل الله هذه الأقوام كمثل أقوام عاد وثمود، وألا يبذلوا أدنى عناء في مجابهتهم.

---

(1) برستد – العصور القديمة، ترجمة داود قربان، ص 155، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1926م .
وكذلك Kenyon, Arch, in the holy land p.207

(2) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، ص 83.

(3) القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 23.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

وحينما نذكر الأرض المباركة، نقصد بها بيت المقدس، التي هي جوهرة بلاد فلسطين، حيث كانت وما تزال وستبقى الرمز والعنوان الرئيس لهذه البلاد المباركة.

و إلى أي أرض نجّى رب العزة سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا لوط "عليهم السلام" إليها، إنها بيت المقدس، وأكتاف بيت المقدس، التي باركها الله سبحانه وتعالى منسجمة هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2].

المطلب السادس: الشواهد التاريخية على عروبة فلسطين منذ القدم

يقول الدكتور (حمد أحمد عبد الله يوسف) في كتابه "بيت المقدس" وقد ثبت أن الصلة العربية بتلك المدينة ترجع إلى الألف الثالث ق.م ومما يدعم قولي هذا ما جاء في العهد القديم أو كتاب اليهود المقدس.وقد جاء في النصوص البابلية والآشورية والعبرية ما يشير إلى استخدام لفظ عربي كمدلول جغرافي لإقليم بعينه في هذا الصقع، الذي عرف فيما بعد باسم فلسطين (وبيت المقدس كانت من ضمن أملاك فلسطين[3]

فجاء في سفر إشعيا (وهي من جهة في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين)[4]

وفي سفر أرميا: (وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية مع العرب إلى المحلة).[5]

كما عثر علماء الآثار الآشورية على نصوص أخرى جاء فيها أن الملك سرجون)[6] وفي أخبار الأيام الثاني (وكل ملوك العرب وولاة الأرض)[7] وفي نفس الإصحاح ذكر (ملك سكان أورشليم اخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا يذكر في حديثه عام 715ق.م

---

(1) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية 71.

(2) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية رقم 1.

(3) حمد عبد الله يوسف، بيت المقدس، سبق ذكره ص .

(4) سفر إشعيا، إصحاح 21/ 13.

(5) سفر إشعيا، إصحاح22/ 1 .

(6) سفر إرميا، إصحاح 25/ 25.

(7)سفر أخبار الملوك الثاني، إصحاح 9/ 14 .

كيف أنه هزم القبائل العربية (ثمود) ونقل أفرادها إلى سماريا. إن هذا القول يدل بدون شك على قدم وجود العرب في فلسطين.

وقد ذكر سرجون أنه تسلم الجزية من أمير عربي ويذكر أنه أيضا عندما حاصر سنحريب أورشليم وجد العرب مقاتلين في صف حزقيا.

ومن هذه النصوص ألآشورية ومما ورد في العهد القديم، تتضح لنا الحقيقة البارزة وهي أن العرب كانوا في فلسطين.

إبّان العصر الروماني، كان الجزء الشمالي الغربي من فلسطين يعرف باسم (عربيه) ويؤكد هذا ما جاء في رسالة (بولص) إلى أهل غلاطيه يقول فيها (انطلقت إلى عربية ثم رجعت إلى دمشق[1].

وهذه الحقائق التي أوردتها، تثبت هوية بيت المقدس بأنها عربية الأصل، وأن الادعاءات الصهيونية بملكية فلسطين وبيت المقدس باطلة لا أصل لها.(2)

ويقول العالم الغربي ج. م. جفريز (لقد بدأ امتلاك العرب لفلسطين قبل خمسة آلاف سنة ولم ينقطع عنها في يوم من الأيام حتى يومنا هذا، إنه أقدم امتلاك على ظهر الأرض وأشدها قوة وإمعانا، إنه امتلاك كان له نصيب من الفتح وله رسوخه الطويل في التربة.[3]

علاوة على ما كشفت عنه حفريات مدرسة الآثار البريطانية 1961م، بالتعاون مع المتحف الملكي باونتاريو، عن أن مدينة القدس شهدت منذ الألف الرابعة ق.م استقراراً ثرياً وعمراناً، غير أن القطع الآثارية المهمة تنهض على إعطاء صورة واضحة لطبيعة هذا الاستقرار المبكر، وان شهدت المدينة منذ العصر البرونزي الأول مرحلة للعمران المبكر (أي بعد بداية الألف الثالثة ق. م) إذ عثر على فخار في مواضع متفرقة من المنحدر الجنوبي، لتل أوفل كما كشف عن تجهيزات بالقرب من راس العين، لإمداد المدينة بالمياه من نهر عقرون.

عندما تصدت كينون لدراسة المدن الفلسطينية "رأس العين ومجدو وجريكو وتل الفارعة وتل الدوير) في العصر البرونزي الوسيط حوالي 1950م-1850 ق. م خلصت إلى أن تصميمات المقابر المتلاصقة للمنازل، وأسلوب الدفن وما شملته هذه المقابر من أسلحة برونزية، كالنصال، والخناجر، فضلا عن طراز الآنية والمصابيح والمدن التي أعيد بناؤها، رأت في العصر ذاته، إنما تشير على أن أقواماً

(1) العهد الجديد، رسالة يوسنس الرسول إلى أهل غلاطية، إصحاح 1/ 18.

(2) يوسف، حمد عبد الله، القدس ص، 17.

(3) مهتدي، محمد محسن، بحث، يوم القدس، القدس تاريخها العربي الإسلامي ن، الندوة الخامسة، جامعة النجاح الوطنية، ص 76.

جددا وفدوا إلى فلسطين من الشرق، إذ حلّت طرز الأبنية من العناصر الفنية السورية، فاستقروا في بعض المدن القديمة، كما استنتجت من تكرار بناء المدن على الرغم، من حداثتها فضلا عن الأسلحة الحديثة كالنصال البرونزية والمركبات والمجانيق وأساليب الاستحكامات الحديثة للمدن المسّورة. إن هذه المدن قد مضى عليها فترة من الاضطرابات، والفوضى."[1] فلو حاولنا أن نجمع بين معطيات الحفريات الأثرية والوثائق المكتوبة وأنماط الفن فسوف نصل إلى مفهوم هام جداً،هذا المفهوم يقول: إن كل مدن فلسطين القديمة التي تعود إلى فترة العصر البرونزي المتوسط كان حكامها عرباً من الأصل الكنعاني بما فيها القدس."[2]

المطلب السابع: القدس العربية تتصدى للإسرائيليين

من المعلوم أن خروج بني إسرائيل من مصر لم يكن محض إرادتهم، بل كان نتيجة للممارسات الكبيرة التي وجهت بحقهم، ولم تكن هذه الممارسات عفوية، بل كانت نتيجة للأعمال التي امتاز بها بنو إسرائيل، وما تجسد في عروقهم، ولعدم تمشيهم مع المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، فزادت النقمة عليهم من قبل الفراعنة المصريين، وساموهم سوء العذاب، إلى أن هيأ الله لهم سيدنا موسى (عليه السلام)، فكان إنقاذهم على يديه، علّهم يعتبرون، أو يردون الجميل، أو يتبّعون ملّة التوحيد، التي فُطر عليها بنو البشر، لكنهم كانوا على عكس ما أُمروا به، على الرغم من وجود النبي الرسول موسى (عليه السلام) بين ظهرانيهم، إلا أنهم كانوا في كل مرة ينكرون هذا العطاء الرباني، إلى أن وصل بهم الأمر إلى عبادة العجل، فكان الخطاب الإلهي الموجه إلى هؤلاء القوم، بأن يتبعوا ملة التوحيد، وليس هذا دلال على الله سبحانه وتعالى: بل أنه امتحان واختبار لهم على سلوكهم، وتمشيهم مع الرسالة السماوية، لكنّ طبعهم كان الصد والجحود.

نتيجة لمخالفتهم تعاليم الرسول المنقذ، موسى "عليه السلام" في صحراء سيناء، فقد تاهوا أربعين عاماً، إلى أن انقرض هذا الجيل، وجاء جيل جديد سار مع موسى باتجاه الشرق، ولم يتمكن من الدخول فلسطين، من البوابة الجنوبية الغربية، بل توجه صوب جبال مؤاب، ولاقى في طريقه من الشدائد الأمور الصعاب، وقد توفى سيدنا موسى (عليه السلام) ودفن في جبل نبو خارج فلسطين، واستلم يشوع بن نون قيادة بني إسرائيل، متجهاً صوب فلسطين الأرض المقدسة من الجهة الشرقية، فكانت الصدامات الدامية بين أهل البلاد الأصليين، وبين القادمين إليها، فلم تكن الطريق مفروشة بالورود، بل دافع أهل

(1) منصور، محمد إبراهيم، القدس التاريخ والمستقبل، أسيوط، جامعة أسيوط، 1997م، ص 77.

(2) الفني، إبراهيم، يوم القدس، القدس مدينة الستة آلاف عام،، الندوة الرابعة، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1998م، ص 92.

هذه البلاد عنها دفاعاً شرساً، وكانت المذابح التي ارتكبها بنو إسرائيل رهيبة بحق السكان والدواب والشجر.

"وقد أجرى عالم إسرائيلي تمارين استفتاء في عدد من المدارس في تل أبيب، والمدن والمستعمرات الإسرائيلية، حول الأساليب الهمجية التي انتهجها يشوع فتوصل إلى نتيجة أن 66٪ - 95 ٪ أيدوا ذلك الأسلوب، وأن30 ٪ من التلاميذ كانوا يؤيدون بصورة قطعية إبادة السكان العرب تماما في المناطق المحتلة، ومن الأجوبة التي نقلها(لقد تصرف يشوع بن نون تصرفاً حسناً بقتله جميع الناس في أريحا، ذلك لأنه كان من الضروري احتلال البلاد كلها، ولم يكن لديه وقت لأضاعته مع الأسرى) وثمة إشارات عديدة في أدبيات جوش إيمونيم، وجماعة كاخ إلى يشوع بأن أسلوبه الإبادي هو الأسلوب الأمثل في التعامل، وقد دعا كهانا المؤسسة الدينية إلى تبيان أن أسلوبه هذا جزء عضوي من الدين اليهودي، والرؤية اليهودية لسكان الأرض من غير اليهود."[1]

"ولكي نشير إلى ذلك المستوى من العنصرية الرهيبة الذي أسفّ إليه المؤرخون بفعل الاستغلال السياسي للتوراة، نكتفي بذكر واحد من أبرز المؤرخين، إنه الأمريكي (وليم فوكس ويل أولبرايت) في كتابه (التوحيد وتطوره من العصر الحجري إلى المسيحية) فهو يبرر عمليات الإبادة المقدسة، عند اجتياح أرض كنعان لينتقل بعدئذ إلى المرحلة التي كان فيها الغزاة يكتفون بطرد سكان البلاد الأصليين"[2] وقد ورد في سفر القضاة من التوراة ما يلي: (حارب أبناء يهوذا أورشليم وأخذوها وخربوها بحد السيف وأشعلوا النار في المدينة[3]، أما في سفر يشوع فنقرأ ما يلي: (إن الله الحي في وسطكم وطردا يطرد من أمامكم الكنعانيين[4] وفي سفر الخروج، نقرأ قوله (فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك...[5]

فما أشبه اليوم بالبارحة حيث أن سكان فلسطين قد هوجموا، وأبيدوا، وأخرجوا من ديارهم، وهذا جزء من العقيدة اليهودية المتطرفة التي ترى في هذا الأسلوب الحل الأمثل.

أجمع عدد من الثقات على أن الدخول إلى أرض فلسطين، لم يكن اجتياحا عسكرياً سهلاً، بل كان تسللاً، ويقف على رأس هؤلاء المفكرين، الفيلسوف روجيه جار ودي في كتابه "فلسطين ارض الرسالات" والدكتور محمد عبد الوهاب الميسيري في موسوعته (فبعد خروج العبرانيين من مصر حركة

(1) المسيري، محمد عبد الوهاب، موسوعة، اليهود واليهودية والصهيونية، ج4،ط1، القاهرة، دار الشروق، 1999م، ص، 124.

(2) جارودي، سبق ذكره، ص 37.

(3) سفر القضاة، إصحاح 1/ 9.

(4) سفر يشوع، إصحاح 3/ 10 .

(5) سفر خروج، إصحاح، 23/ 33.

هجرة تمكن رؤيتها في إطار حركة طرد من مصر وجذب من كنعان وتشير بعض المراجع استنادا إلى الرواية التوراتية إلى هذه الهجرة، باعتبارها حركة (غزو) عسكرية، ونحن نفضل استخدام اصطلاح (تسلل) لوصف هذه العملية التاريخية الطويلة، التي لم تتم عن طريق معركة أو عدة معارك عسكرية حاسمة، وإنما عن طريق التسلل، والتجسس،والتزاوج، والاندماج، وأحياناً الغزو، وقد كان العبرانيون قبائل بدائية حينما خرجوا من مصر، وعبروا سيناء، ووصلوا إلى مشارف أرض كنعان، ولذلك لم يكن في مقدورهم غزو هذه الأرض، والاستيلاء عليها، ولم يكن أمامهم سوى التسلل التدريجي فيها، وقد كانت عملية طويلة استمرت ما بين 1250–1200 ق. م وما كان هذا التسلل أن ينجح لولا تصاقب عدة عوامل تاريخية، واجتماعية، وسياسية، لعل أهمها كان الغياب المؤقت للإمبراطورية العظمى في تلك المرحلة، فالإمبراطورية الحيثية في الشمال قد انهارت والآشورية لم تصبح قوية بعد، أما في كنعان ذاتها، فقد كانت المدن والدول الكنعانية قد أحرزت تقدماً حضارياً ملحوظاً، ويرجح أن السبب في أن جماعة إسرائيل أو العبرانيين قد أخذت بلغة وحضارة وحتى بديانة الكنعانيين يعود إلى كونها جماعة بدائية تفتقر إلى أدنى المقومات الحضارية.[1]

ارتكب يشوع بن نون وبنو إسرائيل، خطأً فادحاً في فعلتهم هذه في مدينة أريحا بحق أنفسهم من الناحية الحربية، وتمثل ذلك من خلال الخوف، وعدم الثقة الذي حل بأهل فلسطين حينما سمعوا بخبر أريحا، فعقدوا العزم على القتال حتى الموت، مما أدى بجميع الممالك الفلسطينية على التكتل والتحالف ضد هذا الغزو الوحشي الذي لم تحدثنا المصادر على مثيل له في العالم القديم عند سائر الخلق والأقوام من الساميين أو من غيرهم، ولنستمع للعهد القديم يحدثنا بإخبار هذه الأحلاف التي كان مركزها ومحورها مملكة القدس والداعية لها ملكها،(فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها *كما فعل بأريحا وملكها...خاف جدا... فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم على هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموث ويافع ملك لخيش *ودبير ملك عجلون يقول (اصعدوا إليّ وأعينوني فنضرب جبعون * لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل)[2]

لقد اتحدت هذه الممالك الفلسطينية الخمس، وكانت تحت إمرة القيادة العربية القدسية، وصمدت ببسالة أمام الزحف الإسرائيلي، وأن بني إسرائيل قد عملوا الشر في عيني الرب بارتكابهم النهب والسلب والفظائع في ممالك الفلسطينيين، فعاقبهم الله شر عقاب على سوء فعالهم، وأن المقاومة

(1) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، سبق ذكره،ص 14.

(2) سفر يشوع، إصحاح، 10/ 34.

الشرسة التي بذلها أبناء بيت المقدس أمام الهجمات الإسرائيلية لم يمكنهم من الاستيلاء عليها قرونا طويلة، وهذا ما ورد في التوراة:

(فلم يرد الرجل أن يبيت بل قام وذهب وجاء إلى مقابل يبوس، هي أورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه، وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده، تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده، لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا نعبر إلى جبعه)[1]

هذه المرحلة التاريخية الهامة من تاريخ النضال الذي وقفه أبناء القدس أمام الغزو الإسرائيلي، والذي استمر مئات السنين، حيث لم يتمكن الإسرائيليون من الهيمنة على القدس، وبقي أهلها فيها يقارعون المحتل، ولم يتمكنوا من الدخول إليها،حتى أنه لم يكن ساكن فيها ولا أي شخص من بني إسرائيل، وهذا دليل صراحة على فراغها منهم، بل لجأ الرجل وغلامه إلى جبعه حيث صالحت بني إسرائيل.

لم يتمكن الإسرائيليون من السيطرة على بلاد فلسطين، ولم يدخلوا القدس، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إطلاقا، بل بقي الصراع محتدماً وبقيت القدس صامدة في وجوههم، وبقيت المدن الفلسطينية الساحلية صامدة، وكان شمال فلسطين تحت سيطرة أهله الفلسطينيين، ولم يجرؤ بنو إسرائيل السيطرة على هذه المواقع، بل أنهم كانوا أمة بدائية ليس لهم من الحضارة نصيب، وكان وجودهم في المناطق العليا من فلسطين أشبه بالمستوطنات،حيث قام صموئيل بتتويج شاؤول ملكا على بني إسرائيل، وقد انهزم أمام الفلسطينيين في شمال فلسطين، وقد قتل أولاده الثلاثة وانتحر بحد سيفه، تصدى لهم جوليات الفلسطيني وهزمهم شر هزائم إلى أن قيّض الله لهم فارساً شجاعاً من بيت النبوة ألا وهو داود بن يسي (عليه السلام) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم،قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2]

نستدل بهذه المعلومات القيمة على أن بني إسرائيل لم يدخلوا القدس إطلاقا منذ دخولهم ديار فلسطين بل بقيت هذه المدينة بسكانها عاصية عليهم.

(1) سفر القضاة، إصحاح 19/ 15 .

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة آية 251.

الفصل الرابع

المبحث الأول

القدس من عهد داود إلى نهاية عهد سليمان

المطلب الأول: صورة داود في التوراة ووضوحها في القرآن الكريم

ليست هناك صورة تجمع بين النقيضين اللذين لا التقاء بينهما، كالصورة التي تقدمها التوراة عن داود ملك اليهود القدير، فهو الشجاع قاتل جوليات الجبار ملك الفلسطينيين، بمقلاع دون سيف في يده، وبذا يصبح مطارداً من الفلسطينيين يوما ما، ولكن سرعان ما يشترك معهم في محاربة عدوهم يوماً آخر. بل ويضع سيفه تحت تصرفهم ضد مواطنيه اليهود، وهو يعمل حامل سلاح شاؤل الإسرائيلي يوماً ما، ثم حارساً للخيش الفلسطيني يوما آخر، وهو قد بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين[1].

تصفه التوراة بأوصاف يضيق عنها الحصر في هذا المجال، كأن يأخذ زوجات قادته، ويأخذ الزوجات من أزواجه، هذا الجانب الذي تظهره التوراة المحرّفة.

أما في الجانب الإسلامي، فهو نبي الله الكريم، قبل أن يكون ملكاً لليهود، ولا نقول فيه إلا ما ارتضاه له رب العالمين، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[5]

---

(1) مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ج2، 1999م، ص 63.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة آية 251.

(3) القرآن الكريم، سورةسبأ، رقم10- 11.

(4) القرآن الكريم، سورة ص، آية رقم17و18و19و 20.

(5) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 55.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2]

هذا هو رأي الإسلام في داود ومن بعده سليمان (عليهما السلام).

المطلب الثاني: القدس قبل عهد داود

لا ريب في أن سكان القدس قبل الغزو الإسرائيلي لكنعان، إنما كانوا من الكنعانيين، وربما أمكن القول أنهم كانوا من الرعاة المتواضعين، الذين كانوا يقطنون في خيام، أو في أكواخ حول (ينبوع العذراء)، وأنهم لم يكونوا في باديْ أمرهم في حاجة إلى دفاع طبيعي، أو صناعي، ولكنهم بمرور الوقت سرعان ما تضطرهم الظروف إلى تشييد مكان بأعلى التل فوق ينبوع العذراء، وكان بمثابة موقع دفاعي على الأودية المنحدرة من كل الجهات، باستثناء الجهة الشمالية التي حفروا فيها خندقا يمتد عبر التل من فوق قدرون إلى التريبيون وقد كشف عنه في يناير عام 1924م (ستيوارت ماكالستر) أثناء الحفريات التي قام بها بالاشتراك مع بعثة (مؤسسة الحفائر الفلسطينية)وصحيفة (الديلي تلغراف) ويدل الفخار الذي عثر عليه هناك، أنه لا يمكن أن يؤرخ بعد عام 2200. ق. م وربما أقدم من ذلك بكثير.[3]

حوالي عام 1500 ق. م اتسعت المدينة، وانضم الخندق إليها في بعض الأماكن بحوالي عشرين قدما، ثم طمس هذا الخندق على مر الزمن وتضعضع السوق الخارجي.

تدل الاكتشافات الحديثة على أن المدينة (يبوس) التي استولى عليها داود، كانت أكبر بكثير مما كان يظن من قبل، وأنها كانت محاطة بسورٍ كبيرٍ وسميكٍ جداً، وأن كل ما فعله داود، أنه قام بترميمه وإكماله.

حوالي سنة 1200ق. م بني سور آخر بسمك 20 بوصة وكانت المدينة المسّورة صغيرةٌ جداً، طولها 1250 قدماً وعرضها 400 قدماً،فكانت المنازل ضيقة والشوارع تحشر ومنحنية[4]

تقدم التوراة في هذه الفترة شخصية ملكي صادق، والذي وصف بأنه "ملك شالم" والتي يفترض أنها أورشليم، وأنه كان كاهنا لله العلي،علي وأنه قد بارك إبراهيم الخليل (عليه السلام) وقال: (مبارك من الله ألعلي مالك السماوات والأرض) مما يدل على أن المدينة كانت مباركة من الله العلي منذ الأزمنة القديمة، التي تعود إلى عصر ما قبل إبراهيم الخليل (عليه السلام) غير أن التوراة لم تقدم لنا أية معلوما

(1) القرآن الكريم، سورة ص آية رقم 30.

(2) القرآن الكريم، سورة النمل آية رقم 15.

(3) مهران، محمد،بنو إسرائيل سبق ذكره ص 741.

(4) نفس المصدر، ص، 743.

ت طبوغرافية عن المدينة يمكن الإفادة منها، كان لابد لنا من وقفة هنا في هذا المجال للدلالة على اسم ملكي صادق خلال هذه الفترة واقترانه بالرسول الأكرم إبراهيم الخليل (عليه السلام).

هاجر إبراهيم الخليل من (أور) في العراق في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وأن فترة خروج بني إسرائيل من مصر كانت حوالي1200 ق.م، وهناك فارق زمني شاسع بين هاتين الفترتين.

كانت حياة سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) في أكناف فلسطين، حيث انتقل إليها من العراق، فسوريا، فمصر، فالديار الحجازية، وكان داعية التوحيد في هذه الديار، وكان خروج أبناء يعقوب إلى مصر ومكوثهم فيها مئات السنين، وخروج بني إسرائيل من مصر إلى بلاد فلسطين في حوالي 1215 ق. م.

هذا يعني أن هناك سلالة عائلية كانت تكنى بهذا الاسم (ملكي صادق)[1] للتبرك به، ولبركة مدينة القدس، وأن حكامها اليبوسيون كانوا على مستوى من الإيمان، وإتبّاع ملّة التوحيد، أي أن هذا الاسم من سلالة الصديقين الذين عاشوا وحكموا هذه المدينة المقدسة.

المطلب الثالث: توجه داود لأورشليم (القدس)

من المعلوم أن داود قد خاض حروباً كثيرةً، وواجه صراعات داخلية كبيرة مع(شاؤول) وتعرض للعديد من الدسائس والمؤامرات من أجل القضاء عليه من قبل (شاؤول)، وأعوانه، لأنه حسن في أعين بني إسرائيل، وأصبح مقدماً عندهم على (شاؤول) وأصبح له رجاله الذين تفانوا في خدمته وكانوا حرسه الشخصي، وذراعه القوية، التي استطاع بها أن يدّوخ أعداءه، حيث أصبح في عيون بني إسرائيل بطلاً قومياً.فالتجأ عند الفلسطينيين واتخذ من مدينة صقلع (خويلفه) في منطقة الخليل مركزاً له، ثم توجه بعدئذ إلى حبرون (الخليل) واتخذها قاعدة له، واستلم زمام الأمور على الأسباط الإسرائيلية في هذه المرحلة المبكّرة في هذه المدينة، علماً بأنها لم تخل من سكانها الأصليين، وحكم في هذه المدينة لمدة سبع سنوات ونصف، وأخذت طموحاته تتوسع لحكم بني إسرائيل، الذين كانوا مشتتين ومرهقين من شدة الحروب التي خاضوها ضد الفلسطينيين، حيث كان معظم هذه الحروب لصالح الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين، عِلماً بأنهم كانوا في أوطانهم يدافعون عن وجودهم وحضارتهم... وأنهم كانوا

(1) اسم ملكي صادق، بتكون من مقطعين، ملك وصادق، أي عظيم ومقدس، بقي هذا الإسم ملاصقا لتاريخ أورشليم، ففي أيام داود كان هناك فئة الصدوقيين، وهم مميزون من اللاويين، كما إن اسم ملكي صادق كان يشكل جزءا من اسم حكام أورشليم من الكهنة مما يدل على أهمية المدينة قبل العهد اليهودي، لأن عجز الكلمة يدل على الصدق والصلاح والاستقامة، وفي عهد يشوع كان ملك أورشليم يدعى أدوني صادق.

يعتبرون بني إسرائيل غزاة وعالة على بلادهم ولم يتعايشوا معهم أو ينسجموا في حياتهم العادية بل أن الصراع ظل محتدماً بين الفريقين.

بعد أن استقر المقام لداود الذي كان في ريعان الشباب وقبل أن يبلغ مرحلة النبوة في حبرون ذات الاسم الكنعاني القديم، أخذ يفكّر في ترك هذه المدينة ليتوجه إلى القدس.

يعلل السيد محمد بيومي مهران في كتابه (بنو إسرائيل) باتخاذه القدس عاصمة له للأسباب التالية:

أولا: إن حبرون قد تشكل مركزا طبيعياً بالنسبة للملكة يهودا، ولكنها لن تكون كذلك بالنسبة إلى مملكة إسرائيل ويهوذا معا،، فهي في نقطة بعيدة في الجنوب.

ثانيا: إن داود كان ملك ليهوذا في حبرون، وقبائل إسرائيل لن ترضى أن يحكمها ملك يهوذا، وإنما داود الذي اختاروه بأنفسهم ملكاً على إسرائيل، وأن بقائه في حبرون سوف يجرّ عليه خطر الظهور في صورة ملك قبلي.

ثالثا: كان عليه أن يتجنب ما وقع فيه شاؤل من قبل، حينما اختار (جبعه) كعاصمة لمملكته.

وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يكن لهم أدنى توجه أصلاً نحو القدس، بل أنها كانت بعيدة عن توجههم إليها، سواء في عهد شاؤول، أو من كانوا قبله من بني إسرائيل.

أما اختياره مدينة القدس في سبط بنيامين، أو افرايم، فإن ذلك سيجر عليه غضب اليهود الذين اختاروه ملكاً عليهم.

إنه لم يختر عاصمة له في بيت لحم مسقط رأسه، أو حبرون، حتى لا يغضب قبائل بني إسرائيل، ولا في واحدة من قبائل إسرائيل، حتى لا يغضب قومه من بني يهوذا. وبهذه الحيادية استطاع أن يجمع بني إسرائيل في نقطة التقاء واحدة. بحيث أن موقفه كان إرضاء لقبائل بني إسرائيل، واتخذ أورشليم عاصمة لمملكته للأسباب التالية:

أولا: القدس في نظر الشمال والجنوب منطقة محايدة، وأن أورشليم لم تشترك في الحروب التي اندلعت بين قبائل بني إسرائيل بين مملكة إيشبعل الإسرائيلية، ومملكة داود اليهودية.

ثانيا: إن سكان أورشليم لم يكونوا يهوديين أو إسرائيليين: وهذا أمر هام: بل إنهم كانوا يبوسيين كنعانيين، وليسوا يبوسيين حثيين أو حوريين كما زعم بعض الباحثين، فكان لا بد من الإبقاء على سكان أورشليم اليبوسيين فيها، وإبقائهم على دينهم وشعائرهم الكنعانية الصرفة، حتى ما كان منها مخالفا لدين يهوه وطقوسه.

ثالثا: لقرب أورشليم من ديار سبط يهوذا.

رابعا: المدينة لم تكن حصناً صغيراً، وإنما كانت واحدة من أقدم المدن الملكية في البلاد، فكانت مدينة وعرة المسالك من الشرق والغرب، وكان اليبوسيون يفاخرون بأن الأعمى والأعرج يدافع عنها.

خامسا: وقوعها بين القبائل الفلسطينية الكنعانية قديماً أكثر ميلا للمسالمة من أهل الشمال.

المطلب الرابع: كيف تم الغزو الداودي لأورشليم

لقد كانت دعوة داود لقائده (يوآب) باقتحام أورشليم (القدس) حماية، وكان فيها من الإغراء من داود ما دفعه إلى تجميع قواه والانقضاض برجاله لينال المكافأة السخية لمن يدخل المدينة أولا، ويقتل اليبوسيين، فأسرع هذا القائد بحماس رجاله إلى اقتحام المدينة التي عجز السابقون من أسلافه على اجتيازها من عهد يشوع بن نون، حيث كانوا يهاجمونها لكنهم لم يستطيعوا الولوج إليها، لشدة بأس أهلها، ورباطة جأشهم، ودفاعهم المستميت الذي استمر مئات السنين أمام بني إسرائيل.

استطاع بنو إسرائيل الدخول إلى هذه المدينة اليبوسية عن طريق قناة مائية تجري تحت الأرض، توصل إلى عمق المدينة، وكانت هذه القناة قد حفرها السكان الأصليون اليبوسيون الكنعانيون، لتصل إلى جبل صهيون لإيصال المياه إليها.

اكتشف المنقب (شارل ورن) هذه القناة، وهي على هيئة سرداب يبلغ طوله 50 قدماً، يمتد من عين العذراء إلى كهف منخفض وفي نهاية هذا الكهف، حفرة رأسية، يندفع منها الماء لتصل إلى سطح من الحجر، وهناك سرداب آخر يمتد بانحدار إلى أن يصل داخل أسوار القلعة، لتوفير الماء أيام الحصار إلى هذه المدينة.

اكتشفت قوات داود هذا النفق واستطاعت التسلل إليه بأحد العوامل التالية:

أولا: طريق المفاجأة.

ثانيا: بطريقة التسلل بوساطة أحد السكان المحليين، ومهما يكن فقد تم اقتحام المدينة، وليس هذا سراً أو بحاجة إلى عناء كبير، بل هو أمر ميسور في بلد دارت حوله، وفي أكنافة، وعلى أطرافه، معارك شرسة منذ أزمنة إلى أن تم ذلك.

ثالثا: ربما استطاع الإسرائيليون الوصول إلى قلب المدينة، بعد معركة شرسة استولوا خلالها على جزءٍ من أسوار المدينة وتسلقوا عليها.

رابعا: هناك رأي آخر، ألا وهو، أن القوات المهاجمة استطاعت أن تصل إلى الماء وتقطع الإمدادات عن هذه المدينة الصامدة مما أهلّهم إلى اقتحامها.

(فمهما يكن من أمر وتعدد للآراء)، فالنتيجة واحدة، ألا وهي اقتحام المدينة، وإعمال السيف في أهلها، وهذا النموذج الحربي ليس غريباً على هؤلاء القوم الذين ما دخلوا قرية، أو مدينة، أو تجمعاً إلا وأعملوا فيه السيف، وعلى حد رأيهم (حرموه) أي ذبحوا أهله، وأبادوهم، وهجّروهم عن ديارهم، ولنا في تاريخنا الفلسطيني المعاصر أسوة في هذا النهج الذي ابتدعوه. وبذلك استطاعوا أن يستولوا على هذه المدينة المنيعة التي كانت حائلا دون تواصل بني إسرائيل شمالا وجنوبا يبعضهم، وحيث تم لهم اجتيازها، فسرعان ما غيّر داود اسمها وأصبحت باسم (مدينة داود) وأصبح حاكماً عليها.

من الواضح أن هذه المدينة لم يسكنها يهوذيون أو إسرائيليون فقط، وإنما بقي فيها سكانها الأصليون، وانتقل إليها داود وحاشيته.

استطاع داود أن يجعل دار الحكومة في جبل صهيون، حيث أن هذا الاسم يبوسي كنعاني كان معروفا قبل اقتحامها، فأصبحت صهيون مقر السلطة الدينية، والمدنية، والسياسية، والعسكرية، إلى أن أصبح هذا الاسم (صهيون) سحراً في أذهان اليهود وقد استغلوه وبنوا عليه أمجاداً وخيالات هائلة، واعتبروه رمزاً لإعادة أمجادهم في هذه المدينة العربية.

اتخذ داود من هذه المدينة أيام حكمه مركزاً دينياً وسياسياً له فيها، ونقل إليها تابوت العهد الذي كان يتنقل مع القبائل الإسرائيلية في خيمة العهد.

فجبل صهيون الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (التوراة) المحرّفة، فقد حرّفوا مكانه أيضاً، كما يحرّفون ما هو فيه، حيث أنه يقع إلى الشرق من موقعه الحالي، الذي يحمل نفس الاسم، وفي هذا المكان كان منزل داود، وكذلك أقيم المعبد، وكان من نتاج حفريات عام 1967م، أنَّ المدينة كانت تمتد على المنحدرات الشرقية في اتجاه واد قدرون، وأما الكهنة الذين كانوا موظفين ملكيين بل أن البعض منهم كان من أبناء داود نفسه.

كان أول فوز عبراني في شرق الأردن على سيحون ملك الأموريين، وتبعه فوز آخر على عوج الملك الجبار ملك باشان ولم تسقط بيت شان وأورشليم إلا حوالي 1000 ق. م[1]

المطلب الخامس القدس في عهد سليمان(عليه السلام)

لم يكن سليمان هو الابن الوحيد لسيدنا داود (عليهما السلام)، بل كان له أخوة كثر، بيد أن الله اختاره ليكون هو خليفة داود.

كان دور سليمان دوراً تكميلياً وإصلاحاً داخلياً وترتيباً عمرانياً ونظاماً جديداً، فقام بإصلاح الأسوار، وكان من أبرز إنجازاته في المدينة المقدسة، هو بناء القصر، والمعبد.

(1) شريده وغوراني، الطائفة السامرية، نابلس، 1994م ص، 2.

إن نظرتنا كمسلمين لداود وسليمان (عليهما السلام)، ليست نظرة عنصرية، أو فردية، بل إن نظرتنا إليهما نظرة إيمانية، ترتبط بعقيدة التوحيد،فهما مسلمان، مؤمنان، ووصفهما بما يليق بهما من مكانة، واحترام، وليس تشويها لهما، أو إجحافا بحقهما، أو تجييّرهما لغير الدعوة الإيمانية، فمهما قيل عنهما، فهما لا يبتعدان عن مفهومنا الإيماني.

تقدم لنا التوراة خيالاً واسعاً ومبالغةً كبيرةً وهروباً لا مثيل له يصل إلى درجة المغالاة في الخيال.

أما الدكتور أحمد شلبي، فإنه يتناول بالإسهاب قصة سيدنا سليمان، إذ لابد لنا من التطرق لهذا الحديث، وإن كان فيه نتفا من الإجحاف، ولكن لا بد لنا من سرد هذا الموضوع وشرحه، إذ يقول في كتابه مقارنة الأديان: اليهود: (وجاء سليمان بعد أبيه، وقد بدأ حكمه بقتل أخيه الأكبر أدونيا، وقتل يؤاب رئيس جيش أبيه، وعزل أبينار الكاهن، وكانت حالة مصر وأشور مرتبكة في مطلع عهد سليمان، فنعم بالسلطان فترة من الزمن، واستطاع أن يصاهر فرعون مصر (شيشنق)، ويعلق wells على هذا الزواج بقوله" كان من الجائز أن يتنازل فرعون فيقبل في حريمه أميرة بابلية، ولكنه كان يرفض رفضاً باتاً أن يسمح لأميرة مصرية لها ما لها من قداسة، أن تصبح زوجة لعاهل بابلي، فما بالك بملك صغير كسليمان استطاع أن يتزوج أميرة مصرية، إن هذا يدل دلالة واضحة على انحطاط مهابة مصر، وتدهورها في هذه الأثناء،ولكن حالة مصر بدأت في الانتعاش فعادت سيطرتها الاسمية على الأقل على فلسطين، ونشط أعداءُ مملكة سليمان، فاستعادوا بعض البقاع التي كانت خاضعة لأبيه، وانكمش ملك سليمان في آخر عهده، فأصبح غرب الأردن فقط.

يشرح (wells) كيف لعب الخيال، فصوّر مملكة سليمان بصورة تفوق الواقع بكثير، قال (wells)" من الخير ألا تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان لم يكن وهو في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً تابعاً، يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم، ونهب معظم ما فيها من كنوز، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام، وهم يقولون، إن الكبرياء القومي لدى كتّاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء عن القصة والمبالغة فيها.

يقرر (wells) في موسوعته "معالم تاريخ الإنسانية "أن قصة ملك سلمان وحكمته التي أوردها الكتاب المقدس، تعرضت لحشود وإضافات على نطاق واسع على يد كاتب متأخر، وقد استطاعت هذه الرواية أن تحمل العالم المسيحي، بل الإسلامي، على الاعتقاد بأن الملك سليمان كان أشد الملوك عظمة وأبهة، وقد أسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان، وأبهته، وفخامته، ولكن الحق إذا قيست منشآت سليمان بمنشآت تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني، أو نبوخذ نصر... فإن منشآت سليمان تبدو

من التوافه الهينات، ولم يتجاوز سليمان بالنسبة لذلك الملك التاجر (حيرام) منزلة المعاونه على تحقيق خططه ومشروعاته الواسعة النطاق، وكانت مملكة سليمان رهينة تتجاذبها مصر وفينيقيا، وترجع أهميتها في معظم أمرها إلى ضعف مصر الموقوت. وقسّم سليمان بلاده إلى اثني عشر قسماً إدارياً، وتعمّد ألا تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الإثني عشر، وكان يرجو وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم، وأن يؤلف منهم شعباً واحداً، ولكنه أفلس في هذا، وأفلست بلاد اليهود معه.)[1]

حتى نكون منصفين لديننا، ومؤمنين في عقيدتنا كمسلمين، فإن نظرتنا كما أسلفت إلى داود وسلميان (عليهما السلام) نظرة إسلامية محضة، لا نفرق بينهم وبين الأنبياء والمرسلين الآخرين، حيث ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ونزلوا منزلة التبجيل والتقدير، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

فالوحي الإلهي كان للأنبياء والمرسلين على نسق واحد، ولقد جاء الإسلام، ونسخ جميع الرسالات السابقة لتنصب في مفهوم واحد، قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[3].

أما سيدنا سليمان (عليه السلام) فقد ورث داود وذلك بالنص القرآني الكريم قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[4] وقد توفرت فيه (عليه السلام) صفات ومنح من الكرامات الإلهية الأمور الكثيرة منها.

أولا: علّمه منطق الطير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[5].

---

(1) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، سبق ذكره ص 87.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 285.

(3) القرآن الكريم، سورة النساء، آية 163.

(4) القرآن الكريم، سورة النمل، آية 16.

(5) القرآن الكريم، سورة النمل آية رقم 16.

ثانيا: علمه بلغة هوام الأرض قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [1]

ثالثا: العلم بلغة الجن: وقد ورد ذلك في قصة بلقيس، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴾ [2]

رابعا: وقد سخّر الله(سبحانه وتعالى) لسليمان الحكم، والعلم، كما سخّره لوالده داود (عليهم السلام) قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [3]

خامسا: سخّر الله له الريح قوله تعالى: ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴾ [4]

وقد ورد في الأثر النبوي الشريف عن سيدنا سليمان ما ذكره البخاري: وقد قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) فرددته خاسئا "وكذلك رواه مسلم والنسائي من حديث شعبه ورواه البخاري ومسلم في الصحيحين. [5]

فنحن "المسلمين" نؤمن إيماناً جازماً برسالات السماء، وأن الأنبياء عندنا سواء، لا فرق بينهم، وهم أصحاب رسالات سماوية، وكتباً مقدّسة، ومهما بالغ اليهود أو أحاطوا داود وسليمان بهالات بشرية، وأضفوا عليهما الصفات التي لا تليق بمكانتهما، لكننا نحن المسلمين إيماننا بهما لا شك فيه، بأنهما كانا مسلمين، وأن من تبعهما كان على فطرة الإيمان والتوحيد.

ولما ذكر على ما وهبه الله لنبيه سليمان (عليه السلام) من خير الدنيا، نبه على ما أعد له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل والقربى التي تقربه إليه والفوز العظيم والإكرام بين يديه، وذلك يوم المعاد والحساب. [6]

---

(1) القرآن الكريم، سورة النمل آية رقم 18.

(2) القرآن الكريم، سورة النمل، آية 38.

(3) القرآن الكريم،سورة الأنبياء آية 79.

(4) القرآن الكريم، سورة ص آية رقم 36.

(5) رواه مسلم والبخاري في الصحيحين .

(6) ابن كثير، قصص الأنبياء، دار إحياء الكتب العربية،ص447 .

فالقصص القرآني وكتب الأحاديث والسير والتاريخ الإسلامي، جلّها يركز على سيدنا سليمان نبياً ورسولاً صالحاً،ولم يذكر قصة الهيكل، أو المعبد، الذي أنشيْ في بيت المقدس بهذه الهالة من التبجيل والمبالغة فيه، وإنما نستدل على أن هذا الصرح الذي يذكره التوراتيون ما هو إلا من نسج خيالهم، فالمبالغة الواردة في هذا البناء لها أهداف سياسية أبعد من واقعها العملي.

المطلب السادس: فكرة بناء المعبد (الهيكل)

الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش)، أي بيت المقدس، أو (هيخال)، وهي كلمة تعني (البيت الكبير)في كثير من اللغات السامية (الأكادية والكنعانية وغيرها)، والبيت الكبير، أو العظيم، هو الطريقة التي كان يشار بها إلى مسكن الإله، فكلمة فرعون تعني (البيت الكبير) وهي تشبه إلى حد ما عبارة (الباب العالي)، وقد تبدت الطبقة العلوية اليهودية التي تراكمت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي في شكل تقديس الأرض الذي تمثل في عبادة إسرائيل، والعبادة القربانية المركزية المرتبطة بالدول العبرانية المتحدة (1000.ق: م)، التي قام الكهنة الأشراف على إقامة شعائرها، ومركز هذه العبادة القرآنية هو (الهيكل)[1]

هناك خيال صهيوني واسع حول فكرة بناء الهيكل، استطاع مؤلفو العهد القديم الترويج لهذا البناء، لإقناع العالم بأن هذا الشأن له جذور في العقيدة اليهودية، مرتبط ذلك بموسى، وكيف أنه كسّر الألواح عندما عاد إلى بني إسرائيل بعد غياب أربعين يوما، وهناك مغالطة لا بد من الإشارة إليها، حيث أن الاعتقاد لدى بني إسرائيل بأن الذي قام بعمل العجل هو هارون، والحقيقة أن الشخص الذي قام بهذا العمل هو السامري.

(هذا العمل قرّب بناء المعبد، فعند نزول سيدنا موسى (عليه السلام) ثانية مع اللوحين الجديدين، طلب سيدنا موسى (عليه السلام) من شعبه أن يحضروا له التبرعات من الذهب والفضة لبناء (القدس)، أو دار المسكن (مشكان)، أو خيمة الاجتماع، فأحضر الشعب التبرعات وبنوا خيمة الاجتماع وكان ذلك في شهر نيسان.

أخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة ودعاها خيمة الاجتماع، فخيمة الاجتماع، كانت عبارة عن معبد متنقل أقيم في وسط معسكر بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، وتنقلهم في الصحراء، وقد ورد في التوراة: (فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم).[2]

(1) المسيري، موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية، سبق ذكره ص 159.

(2) سفر الخروج، إصحاح 25/ 8.

رافق المشكان (خيمة الاجتماع)بني إسرائيل في تجوالهم في الصحراء، ولقد تم تفكيكه وتركيبه حوالي 30 مرة، حتى وصولهم إلى نهر الأردن مقابل أريحا)[1]

إذن خيمة الاجتماع لم تعد أكثر من خيمة من الجلد، متنقلة يوضع بداخلها الأدوات المقدسة من عهد موسى (عليه السلام).

"يعلل ول ديورانت في كتابه "قصة الحضارة" عن الهيكل، حيث يقول: (كان قبل بناء هيكل سليمان الأهلون يقربون القرابين في هياكل محلية، أو في هياكل ساذجة على التلال، ثم جمع سليمان أهل الثراء من أهل المدن، وأعلن إليهم عزمه على تشييد هيكل، وخصه بكميات كبيرة من الذهب والفضة والشّبه والحديد والخشب والحجارة الكريمة من مخازنه الخاصة، وأوصى إلى الناس في رفق أن الهيكل يرحب بتبرعات المواطنين، كان طراز الهيكل هو الطراز الذي أخذه الفينيقيون من مصر، وأضافوا إليه ما أخذوه من الآشوريين، والبابليين، من ضروب التزيين، لم يكن هذا الهيكل كنيساً بالمعنى الصحيح بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة، ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم، فقد كان طوله حوالي مائة وأربعة وعشرين قدماً وعرضه حوالي خمساً وخمسين قدماً وارتفاعه حوالي اثنين وخمسين قدماً، أي أنه كان نصف طول البارثنون.

كان العبرانيون يعتقدون أنه إحدى عجائب العالم، ومن حقهم علينا ألا نلومهم على هذا الاعتقاد لأنهم لم يروا هياكل طيبه، وبابل، ونينوى التي لا يعد هيكلهم بجانبها شيئا مذكورا. فلما مات سليمان كانت موارد إسرائيل قد نضبت، ونشأت فيها طائفةٌ من العمال الصعاليك، لا يجدون عملاً دائماً يرتزقون منه.)[2].

اشترى داود (عليه السلام) الأرض التي بنى عليها المعبد من أرونا اليبوسي، وحيث أن عصر داود كان عصر صراعات داخلية وخارجية، ولم يكن لدية الإمكانية من بناء هذا المعبد، بيد أنه ظل حلماً يراود خلفاء داود، إلى أن تحقق ذلك في عهد سليمان، وبهذا نستدل على أن أصل الأرض التي بني عليها الهيكل كانت لليبوسيين، واليبوسيون كما هو معلوم، أنهم كانوا في القدس قبل العبرانيين، وأنهم موجة عربية كنعانية، ولذا فإن هذا الهيكل بني على أرض عربية، ومن الصعب الوصول إلى وصف دقيق للهيكل، وذلك لكثرة ما شابه من الخلط والمبالغات والصور الخيالية، التي تفوق العقل البشري،وهيكل سليمان كما يدعى الفكر الصهيوني، جزء من مركب معماري ملكي يضم قصر الملك ومباني أخرى،

(1) مصالحة، محمود، المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل، القدس، مطبعة النهضة، الناصرة، 1997م، ص، 95.

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة،المجلد الأول، ج2، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1975م،ص، 335.

وله أوصاف وقياسات تختلف بين الحين والآخر، ومن فكر صهيوني لآخر، لكثرة ما نسج حوله من مبالغات هائلة، ومهما قيل عنه من خيالات، فهو لا يختلف في تقسيمه الثلاثي (المدخل، والهيكل أو البهو المقدس، وقدس الأقداس) عن الهياكل الكنعانية وهو ليس الطراز الأول والأخير من هذا النسيج، ولم يكن بدعا من صنع البشر، بل عثر في مواقع عدة على نفس الطراز، في سوريا، ومصر، وفي مواقع أخرى في فلسطين، وكذلك بالنسبة إلى معبد(شيلو)،وهذا يؤكد على أن هناك معبدان (مصريان – كنعانيان) في بيت شان يرجعان إلى الفترتين بين القرنين 14–12 ق. م كانا لهما نفس المحراب.

هذا فضلا عن أن هناك كثيراً من المعابد التي ترجع إلى العصور الهلنسية، والرومانية، لها محراب من هذا النوع، وهي لا تقع في فلسطين وحدها، بل توجد في الشرق و الغرب، وكان للمعبد الطابعين المصري والبابلي.[1]

لا يختلف هيكل سيلمان في عمارته عن الهياكل الكنعانية، التي يبدو أنها تأثرت بالطراز الفرعوني، الذي أخذه الفينيقيون من مصر، وأضافوا إليه ما أخذوه من الآشوريين، والبابليين من ضروب التزيين، ولذا فإن الطراز الذي بني عليه الهيكل، يسمى بالطراز الفرعوني الآشوري، وذلك على عكس طراز هيكل هيرود، الذي اتبع أساليب العمارة اليونانية، والرومانية، وقد كان العبرانيون يعتبرون أن الهيكل من عجائب الدنيا، لكن هذا راجع إلى جهلهم بأن هناك معابد مصرية وآشورية عجيبة في ضخامتها، كما أنهم لم يكونوا هم البناة لهذا الهيكل، وذلك لحياتهم البدوية المتنقلة، وعدم استقرارهم، وصراعهم مع أهل البلاد الأصليين الفلسطينيين، ولم يدركوا فنون الهندسة، والعمارة، نظراً لعدم وجود تقاليد حضارية لديهم على خلاف البلاد المجاورة لهم كمصر، وبعض البلاد المجاورة الأخرى، فلما شرع في هذا البناء، كان البناءون والمهندسون من غير هؤلاء الأقوام.

كما أن المؤرخ (فيليب حتّي) يعلل في كتابه "لبنان في التاريخ" قضية بناء هذا الهيكل الذي راجت حوله الخيالات الواسعة فيقول (وقصر سليمان من صنع البنائين الفينيقيين الذين استعملوا خشب الأرز في بنائه، وقد كان في هذا القصر من أعمدة خشب الأرز ما جعله يعرف فيما بعد "ببيت وعر لبنان".

كان الهيكل الذي بناه أكثر أهمية من الناحية القومية، وقد بُني هيكل سليمان ليكون معبداً ملكياً ملحقاً بالقصر، واستغرق بناؤه سبع سنوات فقط، ولكنه أصبح فيما بعد مركزاً عاماً لعبادة العبرانيين،

(1) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، مصدر سابق، ص 39.

كانت زخرفة الهيكل مستوحاة من النماذج الكنعانية المعاصرة، وطقوس الهيكل تظهر الأساليب المتبعة عند الكنعانيين، وكان عبيد الهيكل من الكنعانيين، وحتى كلمة هيكل مستعارة من المفردات الكنعانية[1].

إذن الهيكل ليس بدعاً من الزمان، إن صح القول، بل هو بناء للعبادة له أوصافه.علما بان هناك بعض الآراء الأخرى التي تنكر مهمة بناء هذا الهيكل كمجمع تعبدي، كما يبين ذلك في العديد من المراجع (إن سليمان لم يبن هيكلاً كما زعمت يهود، ولكنه بنى مسجدا، يتعبد في المسلمون لله عز وجل، وهذا أيضا يدحض ادعاءات النصارى أنه كان كنيسة قد أقامها الإمبراطور (جستنيان) تبجيلا لمعبد سليمان في الأصل، وحوّلها العرب إلى مسجد في عهد عمر بن الخطاب[2] ويقول (روجيه غارودي) في كتابه "فلسطين أرض الرسالات" (لم يكن لدى القبائل الرحل تقاليد فن معماري فتلقوا الحضارة العمرانية من الكنعانيين، وهكذا قام الفينيقيون ببناء المعبد على نمط المعابد السورية الفلسطينية في كنعان"كان سلميان يحلم بعظمة الفراعنة وترف الآشوريين فاقتبس ما اقتبس من مصر وبلاد ما بين النهرين، وراح في الحين نفسه يقلّد الممالك الأخرى، حيث كانت العربات تلعب دورها الكبير في فن الحرب، وعلى الرغم من أنه لم يقم بأية حرب، قام ببناء الإسطبلات الواسعة في(مجدو) لخيول عربات القتال ليعرضها في المهرجانات الاستعراضية".[3]

نستدل مما تقدم أن هيكل سليمان لم يكن إلا بعقول كنعانية، وأصول غير عبرية، وأن ما فيه مستوحى من الأمم الأخرى وشيد بأيد غريبة !!!.

فقد الهيكل كثيراً من أهميته عند انقسام مملكة سليمان سنة 928ق. م، إذ شيد ملوك المملكة الشمالية مراكز مستقلة للعبادة، فبنى يربعام معبدين أو هيكلين، أحدها في دان في الشمال، والآخر في بيت إبل، وشحنهما بالتحف، والتماثل، حتى يلفت أنظار قومه من التوجه إلى المعبد في القدس، وقد شيّد في مصر معبد آخر، وقام بتشييده الكاهن اليهودي الأعظم أونياس الثالث، في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، كانت هناك نهاية مأساوية للمعبد، حيث هاجمه المصريون والآشوريون إلى أن انتهى وجوده، وتمت إزالته على يدي نبوخذ نصر عام 586 ق.م.

---

(1) حتي، فيليب، ترجمة الدكتور، أنيس فريحه، مراجعة الدكتور نقولا زياده، "لبنان في التاريخ،منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، 1956م، ص129.

(2) مسعود، جمال عبد الهادي محمد، الطريق إلى بيت المقدس، ط2، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص 41.

(3) جارودي، روجيه، سبق ذكره، ص 75.

المطلب السابع: الهياكل التي بنيت على غرار هيكل سليمان

لقد تم بناء عدة هياكل على غرار هيكل سليمان وهي:

- **هيكل زرو بابل:** [1] في الفترة ما بين عامي 520– 515 ق: م أي خلال أربعة أعوام أعيد بناء الهيكل الثاني أي هيكل زر وبابل حيث سمح الإمبراطور الفارسي كورش لمن يرغب من اليهود بمغادرة بلاده (وقام هذا الكاهن بإعادة البناء ويقال أن نبوخذ نصر لم يدمر الهيكل نهائيا بل قام بإحراق الأجزاء الخشبية كالسقف والبوابات الخشبية وكسوة الحوائط الخشبية وأن قدس الأقداس كان فارغا من محتوياته وكان هيكل زر وبابل يضم أيضا أواني هيكل سليمان الأخرى كالشمعدانات الذهبية ومائدة قربان الوجه ومذبح البخور وبقي الجسم الحجري محافظا على طابعه مما أدى إلى إعادة بنائه وترميمه من الداخل وقد نهب أنطوخيوس الرابع هذا الهيكل في القرن الثاني قبل الميلاد، وبنى فيه مذبحا لزيوس، ويقال أن خلفائه قدموا أواني الهيكل للمعبد اليهودي في أنطا كيه، وعند اندلاع التمرد الحشموني، أعاد المتمردون تكريس الهيكل ووضعت فيه أوان وأدخلوا عليه بعض التعديلات، وقد اجتاحه بومبي ونهبه كرا سوس بعد ذلك)[2].
- **هيكل هيرود (الهيكل الثاني):** هيكل هيرود هو الهيكل الذي بناه الملك هيرود 27–4 ق.الذي عينه الرومان ملكا أي حاكما رومانيا يحمل لقب(ملك)، عندما اعتلى العرش هذا الملك وجد هيكل زر وبابل متواضعا فقرر بناء هيكل آخر لإرضاء اليهود، لكنه قرر أن يبني في الوقت نفسه معبدا لآلهة مدينة روما حتى ينال رضاء الإمبراطور أغسطس ويثبت ولاءه له، أي أن هذا الحاكم الأدومي التابع للرومان أراد بسياسته هذه أن يرضي جميع الأطراف آنذاك، كي لا يخسر أي طرف ويبدو أن هذا المعبد الروماني الوثني كان لا يختلف كثيرا في بنيته المعمارية عن الهيكل اليهودي، فهدم الهيكل القديم ومات قبل أن يكمل بنائه واستمر البناء حتى عهد جريبا الثاني سنة (64) م فهدم في العهد الروماني على يدي تيتوس سنة 70 م، لذلك كان قد تأثر البناء في هذه

---

(1) كلمة هيكل(Hchulla)التي أتت مباشرة من السومرية (e- gal)تعني البيت الكبير في الكنعانية (kissa- u)أي كرسي أتت من السومرية بطرييق الأكادية، وتوجد أسماء متعددة من النباتات والمعادن من أصل أشوري، أدخلت بطريق الفينقية واليونانية إلى اللغات الأجنبية مثل (carob) الخروب و (cassio)القثاء الهندي وغيرها فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 49.

(2) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، سبق ذكره، ص 163.

المرحلة بالطابع الروماني اليوناني السائد. ولهذا الهيكل أوصاف تختلف عن الأوصاف التي وردت في كتب المدراش.[1]

"صدم مشاعر الشعب اليهودي هيرودوس بقوله إن الهيكل الذي بناه زر وبابل منذ خمسة قرون كان ضيقا، وأنه يعتزم أن يهدمه وأن يقيم مكانه هيكلا أوسع منه ولم يبال باحتجاج الآهلين ومخاوفهم، وحقق رغبته بأن أقام المعبد الفخم الذي دمره تيتس فيما بعد.

كان الناس يفخرون بهذا الهيكل العظيم الذي كان يعد من عجائب الدنيا في عهد أغسطس، وكانوا لعظمته وبهائه يتجاوزن عن وجود عمده الكورنثية القائمة عند أبوابه وعن النسر الذهبي الذي يتحدى عقيدة اليهود في تحريم الصور المنحوتة والذي كان يرمز عند مدخل الهيكل لروما عدوة اليهود وسيدتها، وكان اليهود ينقلون أنباء العمائر الخالصة التي كان هيرودوس يجدد بها المدائن، وكيف ينفق أموال الأمة والذهب (كما تقول الشائعات). كان هيرودوس يحكم كثيرا من المدن التي كانت يونانية أكثر منها يهودية، سكانها وثقافتها"وقد تأثر بما تمتاز به الحضارة الهلنية منرقة وتنوع، هذا إن لم يكن يهوديا أو في أصله مؤمنا بهذا الدين عن عقيدة ".[2]

- **هيكل أونياس**: كان الخلاف محتدما بين الفئات المتصارعة اليهودية، ففر الكاهن أونياس الرابع إلى مصر ومن معه من الجنود، حيث أصبحوا هناك جندا مرتزقة للمصريين، وشيدوا هيكلا بإيعاز من البطالمة أي في عصر بطليموس السادس سنة (181-145 ق.م) ليكون مركزا لعبادتهم ويبعدهم عن الهيكل التابع للسلوقيين في هذه الديار (فلسطين) أي أن الحكم اليوناني كان يتقاسم هؤلاء القوم وعبادتهم، بني الهيكل على هيئة قلعة يحيط بها سور وكان يختلف عن المعبد في القدس فإنه كان يحوي الأواني الشعائرية نفسها، وكان يهود مصر يتعبدون فيه ويحجون إليه، وقد قام الرومان بإغلاق هذا المعبد عام 73 م.

ليس هدفنا من وراء هذه الدراسة الهيكلية هو إبراز مكانة الهيكل وتثبيت واقعه، بل هدفنا هو أن هذا المعبد ليس ذلك الصرح الذي ينفرد بنسيجه وطابعه الذي اعتبروه من عجائب الدنيا، بل انه إذا ما قيس بالمعابد أو المواقع الأخرى التي قام الإنسان بتشييدها لم يكن سوى نزر بسيط من الآثار التي تركتها الحضارات المتعاقبة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه

(1) نفس المصدر ص، 164.

(2) ول ديورانت،قصة الحضارة الحضارة الرومانية،عصر الإيمان، 11/ 12،" ترجمة،محمد بدران" الجزء الثالث من المجلد الثالث، بيروت، دار الجيل، تونس، ص165.

وإن كان يدعى بأنه بيت الرب، فحاشى لله أن يخرب البشر بيتا لله ألعلي القدير الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، ويتجرأ الإنسان على مسح هذا القطب الكوني إن صح القول، بل أن ذلك من قبيل الهرطقة والمبالغة لأهداف سياسية وفكر صهيوني وخيال واسع.

من المعلوم أن هيكل سليمان قد أصابه الخراب والدمار وانقرض عن وجه البسيطة وكان ذلك على يدي نبو خنصر عام 586 ق. م.[1]

غادر يهود فارس مكان نفيهم، بيد أن زر وبابل بنى هيكلا آخر وقد أصيب هذا الهيكل بالدمار والمسح عن الوجود، وقد بنى هيرودوس هيكلا أوسع منه – وربما أن هذا الهيكل في نظر العديد من المؤرخين يعتبر الهيكل الثالث، وأن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذي تسبب في تشتت اليهود في المنفى على هيئة أقليات من ذلك اليوم.

"ففي عام 70م أوقع تيتوس الروماني مذبحة مريعة لليهود وخرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح كهنتها وأزيل الهيكل من الوجود تماما بحيث لم يعد يهتدي الناس إلى موضعه وقد سيق الأحياء الباقون عبيدا، فذكر المسعودي أن عدد القتلى من اليهود والمسيحيين بلغ ثلاثة آلاف ألف[2]

هناك رأي آخر لارنست مارتن يقول فيه "تشير السجلات التاريخية ضمن الفترة الإنجيلية أن الهيكل الأصلي كان يقع فوق نبع جيحون وتشير المسوحات المعاصرة أن النبع الوحيد ضمن خمسة أميال عن القدس هو جيحون، كان لهذا الموقع الإستراتيجي أن حدث أول استيطان في القدس في المنطقة ".[3]

- **الهيكل من منظور الطائفة السامرية:** يعلل الدكتور محمد حافظ الشريدة والأستاذ عمر عبد الخالق غوراني في كتاباهما (الملل والنحل – الطائفة السامرية)-عن مفهوم هيكل بني إسرائيل، وبكلمة واحدة هو: المعبد، والذي يبتنى مثله – عادة – أصحاب كل ملّة ودين، يؤدون فيه صلاتهم وشعائر دينهم، على أن الهيكل في العقيدة الإسرائيلية، ليس معبدا كأي معبد، وإنما هو المكان الأقدس عندهم، والذي غدا بناؤه في عهد سليمان الحدث الأهم في تاريخ الملحمة اليهودية.

---

(1) المسيري، سبق ذكره، ص 174.

(2) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، سبق ذكره ص، 588.

(3) مارتن، آرنست، الهياكل التي نسيتها القدس، " ترجمة د. أحمد العلمي"ص 131 .

تزعم الأسفار أن داود قد رغب في بناء الهيكل وأعدّ له، ولكن ألله نهاه، لأن الله قد اختار ولده سليمان ليقوم بالأمر، وقد أقام سليمان الهيكل، ويسهب سفر الملوك الأول في وصف ما كان عليه ذاك البناء من فخامة وزخارف عجيبة.وعلى الرغم من قول أحد الكهنة السامريين (لا يوجد لدينا هيكل، والمكان المقدس الوحيد هو جبل الطور، إلا أن عقيدة الهيكل ضاربة جذورها في أعماق الفكر الديني ألسامري، وذلك بيّن في مصادرهم. ويقول أحد كهنتهم "وعلى جبل جرزيم بنى بنو إسرائيل هيكل سيدنا موسى الذي بناه في سنوات التيه، وكان بنو إسرائيل ينتقلون به من مكان إلى آخر، إلى أن دخلوا الأرض المقدسة، وبنوه على جبل جرزيم حسب الأمر الإلهي، وذلك بعد دخولهم إلى أرض كنعان بست سنوات وفي أول شهور السنة العبرية تحديدا.[1]

هذه أقوال واعترافات طائفة من طوائف اليهود العريقة في القدم والتي لها ارتباط متواصل منذ أقدم العصور العبرية لأعظم شاهد على أنه لا يوجد هيكلا لبني إسرائيل في القدس، بل أن الهيكل على جبل جرزيم في نابلس، ولهذا فإن مسألة الهيكل تظل في ظلام دامس واختلاف بل وخلاف على مكان بنائه. أهو في القدس على جبل الأقصى كما يزعمون وهذا ما أثبتت الحفريات والدراسات الآثارية على دحضه ولم يعثر له على أي أثر وإما في رأس العمود كما يزعم طرف آخر، وإما في موقع خارج القدس بني واندثر كأي مكان من ذلك العصر، والنفي القاطع لهذا الهيكل يأتي من إحدى طوائفهم الضاربة الإطناب في القدم والتي تنفي جملة وتفصيلا على أن الهيكل كان موجودا في القدس بل أنه بني على جبل جرزيم في نابلس...؟!

كما أنه يجدر بنا أن نفرق بين هدم الهيكل ونهبه، إذ أنه نهب عدة مرات قبل هدمه، فقد نهب على يدي شيشنق فرعون مصر ومرة أخرى على يدي يوآش ملك المملكة الشمالية.

نود أن نورد هنا ما قاله بعض مفكريهم كما جاء في كتاب الاستيطان الصهيوني في القدس.

"فمن الجدير بالإشارة إليه هنا بأن فترة حكم اليهود على جزء من أرض فلسطين التي لم تدم أكثر من خمسة قرون متفرقة، هي التي يستند إليها اليهود في زعمهم "بالحق التاريخي "رغم أن عالم الآثار" إسرائيل فلنكشتاين "Israel Flankshtain يؤكد بأن علماء الآثار اليهود لم يعثروا على أية شواهد أثرية أو تاريخية تدعم القصص الواردة في التوراة، كما يشكك في قصة داود التوراتية والأكثر ارتباطا في القدس حيث معتقدات اليهود، ويقول أنه لا يوجد أساس أو شاهد إثبات على وجود هذا الملك المحارب الذي اتخذ القدس عاصمة له الذي سيأتي (المسيح) من صلبه للإشراف على بناء الهيكل، ويؤكد أن شخصية داود كزعيم يحظى بتكريم كبير لأنه وحّد مملكتي يهودا وإسرائيل هو مجرد وهم

(1) الشريده، وغوراني، الطائفة السامرية، سبق ذكره ص، 73 .

وخيال لم يكن لها وجود حقيقي. وقدس داود إن وجدت لم تكن أكثر من قرية صغيرة وبائسة. وبالطبع لا نرغب في إجراء مقارنة مع الحق التاريخي للفلسطينيين بوطنهم الذي يعود إلى الكنعانيين، حيث بقيت الأرض كنعانية فلسطينية رغم تعاقب الغزاة واحتلالهم لفلسطين أو لجزء منها كالفترة اليهودية المذكورة أعلاه. لأن الأمور واضحة وليست بحاجة إلى تفسير، حيث أن الكنعانيين استوطنوا ارض فلسطين من الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، وعرفت فلسطين بأرض كنعان، التي تؤكد الأبحاث الأثرية بأصولهم العربية وبأنهم هاجروا من الجزيرة العربية على شكل موجات وسكنوا فلسطين كما يؤكد الباحث اللغوي الأمريكي، أولبرايت Olbraiyt إن الشكل السائد للتراكيب العظمية والجماجم البشرية الأصفى للقبائل السامية قد ظهر في العصر الحجري المتوسط في فلسطين منذ نحو عشرة آلاف سنة، علما بأن اليهود لم يظهروا للوجود إلا منذ ثلاثة آلاف سنة. والكنعانيون هم أول من أسس مدينة القدس في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث يؤكد الباحث، بيرنارد Birnard والمختص بالأبحاث حول القدس بقوله، "وجدت آثار لقبائل هاجرت إلى نواحي القدس وتدل على أن موقع المدينة كان مسكونا في ذلك التاريخ. أي منذ نحو ثلاثة آلاف سنة قبل قدوم العبرانيين إلى القدس "وهم الذين أطلقوا عليها اسم "أور سالم" أو "أورشليم" الذي يعني مدينة الإله "شالم" إله السلام عند الكنعانيين، ومعنى اسم "أور سالم" في اللغة العربية ""نور سالم "أو" مدينة سالم".

أما بالنسبة لهيكل سليمان المزعوم، الذي يكتنف الغموض موضعه وما احتوت أبنيته، الذي يدعي اليهود بأن الملك سليمان أقامه في مدينة القدس ليعبد الرب فيه، الذي أصبحت القدس بموجبه مركزا للتطلعات الدينية لدى اليهود لاحتلال فلسطين الذي يشكك عالم الآثار اليهودي (فلنكشتاين) بوجوده. حيث يشكك أصلا في وجود سليمان بن داود، والمملكة التي حكمها. ويضيف بأنه إن كانت هذه الممالك لها وجود فعلا، فهي لا تعدو عن كونها مجرد قبائل ومعاركها ليس أكثر من حروب قبلية، وبالتالي بحسب رأيه، فإنه لا وجود لهيكل سليمان، إذ لا وجود لأي شاهد أثري يدل على أنه كان موجوداً بالفعل. "[1]

هذه أقوال مفكريهم ورجال علمهم ومؤرخيهم، فماذا بقي علينا أن نقوله عن الهيكل، أو حتى عن الادعاء الصهيوني في القدس.

(1) عناب، محمد رشيد، الاستيطان الصهيوني في القدس، ط1، القدس، بيت المقدس للنشر والتوزيع،2001م ص 44.

المطلب الثامن: الفكر الصهيوني ومسألة إعادة بناء الهيكل

هناك خلاف كبير بين اليهود على موقع الهيكل، حتى أنهم اختلفوا في مسألة إعادة بنائه، فالصهاينة ينقسمون إلى قسمين في هذا الشأن:

أولا: صهاينة دينيون، وصهاينة لا دينيون.

- **الفريق الأول**: الصهاينة المتدينون فيردون أن إعادة بناء الهيكل هو مسألة ذات أهمية مركزية، فهي مسألة عقيدة بالنسبة لهم.
- **الفريق الثاني**: لا يكترث في العبادة القربانية، ولا بإعادة بناء الهيكل، وينظرون إلى محاولة المتدينين محاولة إعادة بناء الهيكل (هوس ديني).

ثانيا: غير صهاينة.

فغير الصهاينة يعارضون العودة الفعلية، ومن ثم إعادة بناء الهيكل، وقد حذف الإصلاحيون الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، حتى في التسمية فإن الإصلاحيين يفضلون كلمة(Temple) أي المعبد، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبداً.

أما الأرثوذكس فيفضلون استخدام الكلمة اليونانية سيناجوج، على أن تظل كلمة هيكل محدودة الدلالة، وتظل المسألة مرتبطة بعودة المشيح.

هذا هو الخلاف بين الفرق الصهيونية اليهودية حول الهيكل وإعادة بنائه، كما أنه جرت العديد من المحاولات الصهيونية لتخريب المكان الذي يقع عليه المسجد الأقصى المبارك، ومحاولات عديدة لإحراق هذا المسجد الإسلامي الهام، وقد أسست العديد من الجمعيات والمؤسسات الصهيونية لتبنّي تغيير الواقع الذي هو مركز عقدي في هذا الموقع الإسلامي، منذ فجر الدعوة الإسلامية أي منذ خمسة عشر قرنا، وظل محافظا على وجوده وسيبقى إن شاء الله إلى قيام الساعة.

قامت الحركة الصهيونية المعاصرة في إحدى دعائمها البارزة على حق بني إسرائيل الديني في الأرض المقدسة، ويستند اليهود في ادعائهم هذا على نصوص التوراة، التي وعدهم الرب فيها بأرض الميعاد، وأن الرب أعطاهم إياها بصفتهم شعب الله المختار.

أما بالنسبة إلى الحق التاريخي، فهم يستندون إلى قيام مملكة داود وسليمان، ثم إلى مملكتين إسرائيليتين في فلسطين منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، والسبب في كونهما مملكتين لا مملكة واحدة، هو عجز قضاة اليهود وملوكهم عن توحيد الإسرائيليين في مملكة واحدة، وقد عاشت المملكة الجنوبية بضع مئات من السنين أكثر من الشمالية.

الرد المنطقي على ادعاء اليهود بحقهم في بناء دولة إسرائيلية، منذ عام 1948 م استناداً إلى دولتهم الغابرة منذ آلاف السنين، هو استحالة إعادة تقسيم الدول على الكرة الأرضية، بناء على التاريخ الغابر، ولو صح ذلك، لكان في الإمكان عودة الحكم العربي إلى أسبانيا مثلا، وعودة حكم أسبانيا إلى أمريكا الجنوبية والمكسيك، وعودة حكم المكسيك إلى قسم من الولايات المتحدة، وكذلك عودة حكم بريطانيا إلى الولايات المتحدة.[1]

كما وأنه لا بد من التنويه في هذا المجال لنذكر أن فلسطين قد غزتها حضارات عديدة وامم مختلفة، كالفرس من أشوريين وكلدان، والرومان، واليونان، والبيزنطيين، والصليبيين وأخيرا الاستعمار البريطاني، وكلهم حكم هذه البلاد، و عاشوا فيها فترات متعاقبة، وإذا كان الأمر قضية حكم كما حكم بنو إسرائيل فمن حق هؤلاء أيضا أن يطالبوا أيضا بفلسطين كما يدعي الصهاينة، كما وأن تغيب العنصر العربي الموجود في هذه البلاد منذ عصور موغلة في القدم كما وأن الفتح الإسلامي لهذه البلاد الذي دام خمسة عشرا قرنا يمكن لهؤلاء أن يطالبوا بحقوقهم كغيرهم من المدعين الصهاينة.

نستدل على أن كلمة (هيكل) لها مدلولات عقدية في العديد من العقائد الغابرة، كما أن هيكل سليمان (عليه السلام) ليس بالضرورة أن يكون كما ضخّم وأضفي عليه من مبالغات لا حصر لها، بل هو مكان لعبادة الإله الواحد الأحد على نمط عقائد التوحيد المتتالية، كما أن هناك خلاف على موقع الهيكل، هل هو تحت المسجد الأقصى، أم بالقرب من سلوان، أم على جبل صهيون كما يدّعون، أم في رأس العمود أم في مواقع أخرى !؟.

فما زال هناك جدل كبير بين الفرق الدينية اليهودية على موقع الهيكل، كما أن الحفريات التي تمت حتى هذه اللحظة لم تعثر على أي أثر لهذا البناء، ولو تم العثور على أي قطعة منه خلال عشرات السنين الماضية التي ما فتئ المنقبون والآثاريون يجهدون أنفسهم في البحث عنه، لما توانوا في الإعلان عن هذا الحدث الكبير، ولقامت الدنيا وما قعدت على هذا الحدث الذي بذل من أجله الجهد الهائل، بل إن ما تم العثور عليه حتى هذه اللحظة ما هو إلا آثار عربية إسلامية، وبقايا حضارات عاشت في هذه الديار، كالكنعانيين، واليونان، والرومان، وغيرهم...

كما أن المؤرخ محمد محمد حسن شراب، يوضح لنا حقيقة هامة في كتابه "بيت المقدس والمسجد الأقصى" قائلا: "والمعروف أنه جعل قاعدة ملكه أي داود(عليه السلام)، في أول تمليكه في جهات الخليل، ثم فتح القدس بعد حوالي سبع سنوات ونصف فتكون نبوته بعد فتح القدس، ولا نعلم متى جاءه

(1) الحوت، بيان نويهض، فلسطين سبق ذكره، ص 3.

الأمر ببناء المعبد، ويظهر أن ذلك المعبد كان خاصا، بدليل قوله تعالى في سوره (ص) "وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوّروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم."[1]

فالمحراب قد يكون للعبادة، وقد يكون صدر المجلس وأشرفه = اللسان مادة حرب = فإن كان للعبادة فمعنى هذا أنه معبد خاص بدليل قوله تعالى = تسوّروا = أي تصّعدوا سور المحراب، ونزلوا إليه، ولو كان معبداً عاماً، ما كان له سور يمنع الناس من دخوله. ويعني هذا أن المسجد لم يكن هو المسجد الأقصى، وأن معبد داود أو محرابه، كان بعيداً عن المسجد الأقصى المبارك، وأنه كان عند سور القدس، في القلعة المبنية عند باب الخليل، فهناك كان يسكن داود وسليمان، والهيكل الذي بناه سليمان كان من القصر الملكي أو ملاصقا له.)[2]

عشية حرب الأيام الستة عام 1967 م، توجه حاخامات اليهود الصهاينة، صوب المسجد الأقصى المبارك وباشروا- فعلا- بتنفيذ المخططات لتدمير هذا المسجد الإسلامي، وإعادة بناء الهيكل المزعوم مكانه، محاولين إقناع العالم بنواياهم، واتخذت أعمالهم مسارب مختلفة في سبيل تقويض هذا المسجد وتدميره، حيث علقت مخططات الهيكل أمام باب المغاربة، وبوشر بالعمل في الحفريات تحت المسجد الأقصى المبارك وحوله، وقد تم لهم في غياب الواقع العربي والإسلامي الإجراءات التالية:

1- إجراء الحفريات حول المسجد بكاملة من جميع الجهات والدخول إلى أساساته.

2- فتح العديد من الأنفاق تحت المسجد الأقصى المبارك، لخلخلة بنيانه، وجعله هشاً ليسهل بذلك تصدع أركانه من أي هزة أرضية بسيطة، أو تفريغ هوائي تقوم به إحدى طائراتهم، أو عوامل طبيعية قد تضر هذا المكان المبارك، فيسهل اندثاره وينشبون مخالبهم لتنفيذ مآربهم.

3- الاعتداءات العسكرية المستمرة، وذلك بقيامهم بالعديد من المجازر ضد المسلمين المصلين بداخله، وقتلهم للعديد من رواده.

4- الإغلاق التام لمنطقة المسجد الأقصى، ومنع دخول المصلين المسلمين إلى القدس، وخنق المدينة المقدسة بالمستوطنات، لانحسار تواجد العرب المسلمين في هذا البلد العربي الإسلامي الأصيل.

5- بناء سور الفصل العنصري حول القدس، وخنقها بالمستوطنات، وعزلها عن محيطها العربي.

6- خنق المدينة المقدسة بالمستوطنات، وحشد المستوطنين داخلها.

---

(1) القرآن الكريم، سورة ص، آية 21- 22.

(2) شراب، محمد محمد حسن، القدس، ص 58.

7 – محاولات تفريغ القدس ممن سكانها العرب، وسحب هوياتهم المقدسية كي لا يعودوا إليها.

8 – الهدم الممنهج للبيوت العربية، بحجة عدم الترخيص، أو الدواعي الأمنية، أو غير ذلك من الحجج الواهية، تمهيداً للتهويد.

إن المخططات جارية على قدم وساق، ليلاً ونهاراً، ولم ينقطع ساسة اليهود، وآثاريوهم وباحثوهم، ولو للحظة واحدة عن التنقيب، غير آبهين بمشاعر المسلمين، ولا بحرمة مقدساتهم، مما أثار حفيظة مسلمي فلسطين، أثناء زيارة رئيس الكيان الصهيوني شارون إلى الأقصى، واندلعت انتفاضة الأقصى، التي راح ضحيتها آلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين من أبناء الشعب الفلسطيني.

لم يتوقف الحال عند هذا الإجراء الصهيوني ضد الأقصى، (ففي الوقت الذي يحضّر فيه اليهود أنفسهم لإحياء أكثر المناسبات حزنا وفق معتقداتهم التوراتية، وهي دمار هيكل سليمان على يد الرومان سنة70 م، يعد المتطرفون منهم العدة، لإعادة بناء الهيكل في المكان الذي يدعون أنه كان قائما فيه،وهو المسجد الأقصى المبارك، وقد أعدت مستلزمات طقوس التضحية لاستقبال عهد المسيح المنتظر، الذي سيعم العالم السلام بعد ظهوره، فقد أعدوا البخور، وأنواع خاصة من العنب ليصبح النبيذ المقدس جاهزا، ويسود خلاف في المعتقدات اليهودية حول لمن يجب أن تكون الأسبقية لعودة المسيح المنتظر، أم لإعادة بناء الهيكل المنتظر، فهناك تيار يقول بوجوب ظهور المسيح المنتظر، قبل إعادة بناء الهيكل، فيما يؤمن تيار آخر، بأن إعادة بناء الهيكل ستعجّل في مجيئه، ويقوم المتطرفون اليهود بتجهيز ما يرونه ضروريا، من أجل خوض المعركة الأخيرة، والفاصلة التي ستسبق إعادة بناء الهيكل، ويعيش العالم في ظل سلام المسيح المنتظر، وهي المعركة مع المسلمين، حيث أن المخطط الصهيوني يقوم على بناء المعبد (الهيكل)، على أنقاض المسجد الأقصى المبارك – لا سمح الله – وقد صرّح بهذا الرأي (المحامي باروخ بن يوسف)،الذي يعيش في ضاحية راقية غربي القدس الغربية، ويرى أن الأمر يشبه إعداد جيش للمعركة فعندما تندلع الحرب يجب أن يكون الجنود جاهزين، حسب رأي هذا المتطرف، فإن خطوات الإعداد الأولى لهذه الحرب، تتمثل في البدء في الصلاة بشكل جماعي، في باحات المسجد الأقصى، ومن ثم المطالبة ببناء الهيكل. ينظم هذا الشخص اجتماعات سنوية، لجماعة تطلق على نفسها اسم (بناة الهيكل الثالث)، يشارك فيه قرابة ألف شخص، ويقول عندما بدأنا هذه الفكرة، لم يكن عددنا يتجاوز الثلاثين شخصا، ويبحث المجتمعون في هذا الاجتماع، الخطط التفصيلية للإعداد العملي لمستلزمات بناء الهيكل، ولذلك فإنهم أنجزوا صنع شمعدان ذهبي، صمم حسب الشكل اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك يقوم بإعداد المهمة متمرسون في طقوس تقديم الأضاحي، على مذبح يشابه ذلك الذي ينبغي أن يقوم فيه المعبد.

كما أنجز أحد المهندسين، مخططا تصويرياً جديداً لمدينة القدس، يتضمن إضافة إلى الهيكل، إقامة مواقف تتسع لمركبات الملايين الذين سيقدمون الأضاحي.

تم افتتاح اعتماد بنكي لليهود، للتبرع بأموال إعادة بناء الهيكل، ويشرف على هذا العمل المتطرف اليهودي (يالزو)، حيث يقوم بشراء أحجار، وقطعها في صحراء النقب، كما أنه يؤمن بأن الهيكل الثالث سيقوم، وأن الله سيباركه، بوضع اللمسات الأخيرة عليه، كما أنه يقدر بأن بناء الهيكل يحتاج إلى ستة ملايين حجر، حيث أنه يقول: بأنه حين يلمسها، ويحملها، يشعر بأن شيئا ما يتحرك في الجنة.)[1]

يتنكر المتطرفون اليهود، فيدخلون ألأقصى كسياح أجانب، ويقيمون صلواتهم همسا، وفي السر، وأن ما يقوم به المتطرفون اليهود، ما هو إلا عمل جاد، في ظل الغياب العربي والإسلامي، عن الساحة، وترك المجال أمام هؤلاء المتطرفين، الذين يريدون أن ينقضوا على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ليبنوا هيكلهم المزعوم، على أنقاض هذا المسجد الإسلامي الكريم.

المطلب التاسع: القدس بعد عهد سليمان

بعد وفاة سيدنا سليمان (عليه السلام)، انقسمت مملكة القدس إلى دولتين هزيلتين.

- **الدولة الأولى في الشمال:** وتسمى مملكة إسرائيل، وعاصمتها السامرة (سبسطيه). وتولى الحكم عليها يربعام.
- **الدولة الثانية في الجنوب:** وتسمى مملكة يهودا، وعاصمتها أورشليم القدس، وتولى الحكم عليها رحبعام بن سليمان.

دارت الحروب الطاحنة بين هاتين الدولتين، وقد أصيبتا بالضعف لشدة الحروب الداخلية بينهما، كما أنهما تعرضتا إلى حروب خارجية.

كان أول الغزاة إلى مملكة يهوذا، شيشنق الأول ملك مصر عام 926 ق.م "وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ أتراس الذهب التي عملها سليمان.

وفي عام 848 – 841 ق. م انفصل الأدوميون عن مملكة يهوذا، وملكّوا على أنفسهم ملكاً، وفي هذه الفترة بدأ أفول نجم الممالك الإسرائيلية في فلسطين، وسطوع نجم العرب الفلسطينيين في هذه الديار، حيث أنهم أهلها، فأخذوا يستعيدون أمجادهم، ويجمعون قواتهم، فصعد الفلسطينيون العرب الذين بجانب الكوشيين، واقتحموا مملكة يهوذا، واستولوا على الأموال الموجودة في بيت الملك، وسبوا الأبناء والنساء، ولم يبق إلا أصغر بنيه.

---

(1) صحيفة القدس المقدسية الصادرة بتاريخ 9/ 8/ 1997م.

وفي زمن يهوآش غزا الآراميون أورشليم، وهلك كل الرؤساء، ونهب جميع الخزائن، وقدمها لحزائيل ملك الأرامين.

وفي عام 796- 767 ق. م، هجم يهوآش ملك إسرائيل على أورشليم، فهدم سورها، وأخذ الذهب والفضة والآنية الموجودة في بيت الرب، وفي خزائن بيت الملك.

أما في عهد الآراميين في دمشق، فقد أصبحت مملكتا إسرائيل ضمن سيطرتهم، وأخذ (بنهدد) ملك دمشق 879-843 ق.م الجزية من يهوذا، كما أنه ضم مملكة جلعاد في شرق الأردن إلى مملكته.

في عام 874- 853 ق.م، في عهد أخاب بن عومري، فقد فرضت الجزية، والحماية على إسرائيل، وقد استطاع الآراميون استغلال الخلاف بين الملكتين الإسرائيليتين لإخضاعها كليا. هكذا كان وضع القدس، حيث أخذت تترنح أمام الفاتحين الأشوريين من العراق، والآراميين من سوريا، فلم يقر لها قرار، ولم يهدأ لها بال، أمام هذا المد الجبار، الذي كان سبباً في تقويض نفوذها، وانهيار شخصيتها أمام الفاتحين.[1]

(1) سوسه،أحمد، العرب واليهود في التاريخ، سبق ذكره، ص 554.

obeikandl.com

الفصل الخامس

المبحث الأول

القدس من عهد الأشوريين إلى عهد البيزنطيين

المطلب الأول: القدس في عهد الآشوريين

استولى المصريون على مدينة القدس، ولم يعملوا على تصيرها، وإنما اكتفوا بفرض الجزية والتبعية الاسمية، وقد أغرى ذلك الوضع ملوك الآشوريين المجاورين بالتوسع والاستيلاء على المدينة وإخضاعها لهم.[1]

بدأت محاولات الاستيلاء الآشوري سنة 730ق: م، حيث تقدم شلمنصر نحو القدس، قاصداً السيطرة عليها، وتمكن من سبي بعض سكانها، وعاوده الكرة في سنة 723 ق: م، واستمرت الحروب بينهما حتى سنة 721ق: م ولكن شلمنصر لم يتمكن من السيطرة عليها.[2]

كانت نهاية مملكة السامرة على يدي الآشوريين، فخرجت أعداد من اليهود إلى شمال العراق، ووقعت مملكة يهوذا بين فكي كماشة ألآشوريين من الشرق، والمصريين من الغرب، وما كان عليهم إلا أن يستنجدوا بالمصريين، فهب حزقيا للاستنجاد بالمصريين وانتقده إشعيا على هذا التصرف. التقى سنحاريب قائد الآشوريين بجيوش المصريين وانتصر عليهم، وأخذ يحتل المدينة تلو الأخرى، إلى أن وقف على أبواب القدس، وأصبح مليكها حبيسا كالطائر في القفص، وقد دفعت القدس الجزية إلى سنحاريب[3].

قام الآشوريون بمحاصرة القدس، ودب الرعب والهلع والمرض في صفوف السكان، بيد أن الطاعون قد زحف على جيوش الآشوريين، وأهلك عدداً كبيراً منهم، مما اضطرهم إلى رفع الحصار عن القدس. فلم ييأس الآشوريون من محاولاتهم السيطرة على القدس، إلا أنهم عادوا الكرّة مرة أخرى عليها حتى احتلوها.

---

(1) يوسف، حمد عبد الله، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 5.

(2) سركيس خليل، تاريخ القدس الشريف، بيروت مطابع المعارف، 1874م ـ ص 28، 32.

(3) سوسه، أحمد العرب وال يهود في التاريخ، سبق ذكره، ص 56.

نظرا لوصول المدينة إلى هذا الحال من الترهل، ولم يستطع أهلها صد الهجمات من الخارج سواء جهة العراق أو من مصر، فإنه لم يبق لديها القوة والسيطرة على أمورها الداخلية، وأصبح سقوطها أمراً واقعاً لا محالة.

المطلب الثاني: القدس في عهد الكلدانيين

حلت الدولة الكلدانية محل الدولة الآشورية سنة 612 ق. م وباشر نبوخذ نصر الثاني 43 سنة، فقام بحملتين، الأولى عام 597 ق. م والثانية عام 586 ق. م واستطاع في الحملة الثانية أن يحاصر أورشليم القدس، فسبى كل يهود أورشليم والرؤساء وجميع جبابرة الناس، عشرة آلاف صبي، وجميع الصناع والأقيان، ولم يُبقِ أحداً إلا مساكين الشعب، وأخرج جميع خزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب، وأسكن السبايا في منطقة الخابور.أما السبي الثاني فكان سنة 586ق. م واستنجد ملك أورشليم بالمصريين، إلا أن البابليين ردوهم على أعقابهم وحاصروا أورشليم، وتفشت المجاعة والوباء بين السكان، فرضخوا واستسلموا، ودخلوها في الرابع من تموز عام 586 ق. م.

دمرت أورشليم، وأحرق بيت الرب، وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم، ودمرت نهائيا. يعد هذا التدمير الأكبر من نوعه لهذه المدينة، ولأهلها، ولكل ما تحويه، فأصبح خرابها هذا، وسبي ما فيها من سكان حداً فاصلاً في حياة اليهود في القدس.

وقد أورد المؤرخون العرب في مخطوطاتهم هذا السبي، حيث ذكر القزويني "أن نبوخذ نصر أخذ أسارى بيت المقدس من أهل الحرف، والصناعات، فلما وصلوا إلى موضع أصفهان، وجدوا ماءها وتربتها شبيهة ببيت المقدس، فاختاروها للوطن وأقاموا بها وعمروها.[1]

وقد أورد الدينوري هذا الفتح فقال: "وأقبل نبوخذ نصر حتى ورد مدينة بيت المقدس فدخلها، ووضع في بني إسرائيل السيف، وسبى أبناء الملوك والعلماء وهدم مدينة إيليا، فلم يدع فيها بيتا قائماً، ونقض المسجد، وحمل ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر، وحمل كرسي سليمان، وقفل راجعا إلى العراق."[2]

يعلل الدكتور حمد عبد الله يوسف في كتابه "بيت المقدس" أنه في هذه الفترة اختفت نهائياً مملكة بني إسرائيل، وبرزت إلى حيز الوجود فلسطين، بفضل الملك الفارسي كورش، الذي فتح أمام اليهود لمن أراد باب العودة إلى فلسطين اعتبارا من سنة 538 ق.م.

(1) القزويني، زكريا محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 296.

(2) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، ص، 23.

نستنتج من ذلك أن الوضع في القدس، لم يكن مستقراً بسبب الصراعات الداخلية والخارجية، أما الصراعات الداخلية، فقد انكشفت حال انتهاء مملكة داود وسلميان (عليهما السلام) حيث حانت الفرصة إلى تفجير الأوضاع، وانقسام هذه المملكة إلى شمالية وجنوبية، تحكّم العداء بينهما، ولم يكن نظامها أكثر من نظام قبلي، يغير بعضهم على بعض، كما كان الحال بين القبائل العربية في الجزيرة في عهد الجاهلية. أما أهل البلاد الأصليين فقد بدا يعلو صوتهم عندما بدأت مملكة داود وسلميان بالأفول، حيث بدا عرب الجنوب الأدوميون، من منطقة الخليل إلى بئر السبع ووادي عربة بالانفصال عن هذه المملكة لشعورهم بضرورة الاستقلال عن هذا الاحتلال، حيث كانوا يعتبرونه احتلالا لأوطانهم، التي عاشوا فيها منذ عهود غابرة. ولا أدل على ذلك مما ورد في العديد من النصوص التوراتية، عن هجمات هؤلاء الأقوام على حدود هذه الدولة، وكانوا يسمون بالمخربين آنذاك، وقد وظف الإسرائيليون هذا المفهوم مدعين بمن يقاوم الإحتلال في عصرنا بالمخربين، وأنهم لم يندمجوا في ذلك المجتمع أو يعتنقوا عقيدته.

حانت لعرب الجنوب الفرصة للاستقلال عن هذا الكيان، فقاموا بالانفصال التام، وأخذوا يشعرون بشعورهم الوطني والقومي.

أما فلسطينيو الساحل، فلم تستطع مملكة داود وسليمان، أن تفرض وجودها عليهم، وأن تحتل مدنهم الحصينة، فقد ظلوا في صراع متواصل مع هذه السلطة. وفي الشمال – الجليل – فقد كان الكنعانيون ذوو البأس الشديد، الذين أضطر سليمان (عليه السلام) بأن يتخلى عن عشرين مدينة لحيرام، لقاء مساعدته في بناء المعبد، فلم يكن تنازله هدية كما تدعي الروايات المختلفة، بل كان تخلصا من هؤلاء القوم الذين لم يخضعوا لحكم مملكة إسرائيل في القدس.

أما الصراع الخارجي، فقد كان على أشده مع هاتين الجارتين العملاقتين آنذاك، الآشوريون من الشرق والمصريون من الغرب. هكذا كان الوضع في هذه الظروف، مما ساهم في تقويض حكومة إسرائيل في هذه الديار، والإسراع بانقسامها ومهاجمتها من الخارج والقلاقل الداخلية. ولولا الشعور بالعدو الخارجي، لكان زوال هذا الكيان أسرع.؟!

المطلب الثالث: القدس في عهد الفرس الإخمينيين

لقد كان السبي البابلي لليهود من هذه البلاد نتاج صنيعهم، وتعصبهم، وسوء تعاملهم،ومعاملتهم، مما أدى بهم إلى السبي الذي أثّر عليهم، وهدم المعبد وكان سببا في تشتت ذرا ريهم، ففي هذه المرحلة، كان عصر الملوك العدة من الشعب الواحد، في الزمن الواحد، فعلى كل مدينة ملك، ولكل قبيلة أمير، وكانت الحروب الصغيرة والمتواصلة سمة العصر والمملكة لا تقوم إلا بالقضاء المبرم

على المملكة المجاورة، فبنو إسرائيل أرادوا القضاء على الفلسطينيين، وحاولوا القضاء على الكنعانيين، والميديانيون، والفلسطينيون حاول كل منهم القضاء على بني إسرائيل، فالحرب لا تنتهي إلا بالإبادة، إبادة أحد الفريقين، أو(إبادة الغير لنحيا نحن) وهكذا كانت الإبادة تشمل الناس والبيوت والخيام والنساء والصغار والمزروعات والغلات والبهائم والأرض، وقد استمرت الحروب تنبع من روح الإبادة، حتى شهد القسم الأخير من القرن السادس قبل الميلاد تحولا جذريا انتهى بعده عهد (الدول المدنية)، مستسلما لعهد الدول المركزية الخارجية القوية، وكان أول الملوك الأقوياء في هذه المرحلة الملك كورش الثاني الفارس[1].

في عام 538–539 ق.م استولى كورش الإخميني على بلاد بابل، وتم له ذلك بمساعدة اليهود له على أن يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، واحتل سوريا وفلسطين، وكانت قصة سماحهم لليهود بمغادرة من أراد منهم، نتيجة وقوعه في حبال زوجته اليهودية أستر (هداسا) التي تحايلت عليه، مما أدى إلى العفو عمن تبقى منهم، والسماح لمن يرغب أن يغادر بلاد الفرس حيث شاء، وكان اليهود قد أثروا في تلك البلاد، وغادر منهم خمسون ألفا، وانتقل قسم منهم إلى القدس، وعمل معهم صنيعاً حميداً، حيث أعاد إليهم جميع ما أخذه منهم نبوخذ نصر من الذهب والفضة، وجميع الكنوز التي نهبت.

آثر بعض اليهود البقاء في بابل، نظير ضريبة يدفعونها لإصلاح أورشليم القدس، وإقامة المعبد، وصف ابن خلدون، المعاملة الطيبة التي عاملها كورش لليهود، والإصلاحات التي قام بها فيقول: "[2]إن ملك الفرس كورش قد سمح لليهود بالعودة، وتعمير السور، ورد إليهم الأواني التي كان قد أخذت منهم"[3]

حكم الفرس المنطقة مائتي سنة، وفي عهد داريوس، قسمت إدارياً إلى عشرين ولاية وكانت فلسطين جزءاً من الولاية الخامسة، وكان منها لواء العربية الذي ضم فلسطين والأردن وبادية الشام، وكانت اللغة الأرامية هي اللغة السائدة، أما الفارسية فلم تتجاوز الأوامر وتعليمات الحكومة، وقد انتهى العهد الفارسي بفتوحات الأسكندر المقدوني.

بعدما تجمّع أعداد من اليهود الوافدين من بابل في القدس، قاموا وبقيادة (زروباب)، بإعادة بناء الهيكل على طريقته. لم يرق لأهل البلاد من حثيين وحوريين وعمونيين وأدوميين، والذين كانوا تحت

(1) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، سبق ذكره، ص 57.

(2) يوسف، حمد عبد الله يوسف، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 7.

(3) ابن خلدون، المقدمة، بيوت، 1889م، ص 71.

الحكم الفارسي، عملية بناء الهيكل، فهم يشعرون أن هؤلاء الأقوام دخلاء عليهم، وأنهم محتلون، وأنه لا حق لهم فيما يقومون به، أو يعملون فيه على أرضهم، فقاموا بمقاومتهم بجميع ما أوتوا من وسائل.

المطلب الرابع: القدس في عهد اليونان

في عهد الملك الفارسي دارا، تمكن الإسكندر المقدوني من إسقاط الإمبراطورية الفارسية سنة 322 ق. م، وزحف على فلسطين، وكان في القدس من بقايا اليهود الذين هرعوا لاستقباله، كما ذكر ذلك المؤرخ،اليهودي يوسيفوس" وقد ذكر هذا الأمر حيث قال (رحل الاسكندر متوجها إلى أورشليم، فلما سمع اليهود بمجيئه إليهم خافوا منه، فلما علم الكاهن الأكبر، جمع اليهود الذين هناك وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عز وجل وسألوه الكفاءة، ثم خرجوا يستقبلون الاسكندر لما قرب من المدينة، وعظيم الكهنة قدامهم، فاجتمع الاسكندر بشيوخ بني إسرائيل، وكهنتهم على جبل سكوبس شمال القدس[1].

يذكر المؤرخ اليهودي،" يوسيفوس" أنه لما سمع اليهود باقتراب الاسكندر،هرعوا لاستقباله خارج المدينة عند صفا* والتقوا به[2] ثم أن الكاهن الأكبر، لقي الاسكندر بالإكرام والإجلال ومضى معه حتى أدخله القدس.

لّما دخل الفاتح الهيكل قال الكاهن الأكبر متملقا، "طلبت من جميع الكهنة أن يسموا كل مولود ذكراً يلد لهم في هذه السنة اسكندر، وأن يدعوا لك كلما دخلوا الهيكل."[3]

كان احتلال القدس على يدي الإغريق سلماً كما هو معلوم. مما أثار حفيظة جنده الذين رغبوا في فتحها عنوة، واليهود كعادتهم يتلونون ويتملقون للأمم الأخرى، حتى ينالوا مآربهم ويصلون إلى أهدافهم ويستقرون على حالتهم، فسأل الاسكندر رئيس السدنة ماذا تبغي؟قال: "إننا نطلب منك أن يتاح لنا العمل بموجب قوانين أجدادنا، وأن لا ندفع الجزية فمنحه الاسكندر ما طلبه، وأما الاسكندر فقد طلب من الكاهن أن ينضم اليهود إلى جيشه وان يرافقوه إلى محاربة دارا، فتطوع عدد منهم[4]

---

(1) طوطح وشحاده، تاريخ القدس وفلسطين، وجبل سكوبس يقع شمال القدس، وقد قامت إسرائيل ببناء حي استيطاني فيه، سمته حي أشكول.

(2) يوسفوس، تاريخ يوسفوس،" إبراهيم صادر " الفصل الثامن من الكتاب الحادي عشر ص 324.

(*) صفا : هي بيت صفافا، حسب رأي المؤرخ الإنجليزي وليام في كتابه المدينة المقدسة، كما جاء في كتاب د. حمد عبد الله.

(3) يوسفوس، تاريخ يوسفوس، سبق ذكره ص 27.

(4) العارف،المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص 35.

امتاز اليهود ببعض الامتيازات الخاصة بممارستهم لشعائرهم الدينية، بعد وفاة الاسكندر فانقسمت مملكته إلى أربعة أقسام،كانت القدس من نصيب سلوقس حاكم سوريا.

هاجم بطليموس ملك مصر القدس سنة 301 –298ق. م، وفتحها ودك حصونها، وعامل اليهود أسوأ معاملة، واصطحب معه عدداً من اليهود إلى الإسكندرية، وأصبح أكبر تجمع لهم فيها واهتم الحاكم اليوناني أنطوخيوس الرابع، بنشر المعتقدات الدينية اليونانية "ذكر إبن العبري، أنه نصب مكان الهيكل صنم زاوس (المشتري) وألزم كاهن اليهود، أن يقدم لهذا الصنم الأضحية فأبى، فعاقبه بالموت".[1]

وكانت القدس تتأرجح بين حكم السلوقيين في سوريا، والبطالسة في مصر، بيد أنهم لاقوا أسوأ معاملة في عهد الملك السلوقي أنطوخيوس الرابع (أبيفان) سنة 164–175 ق.م قام هذا الحاكم بتدمير الهيكل، ونهب خزائنة، وأجبر اليهود على نبذ اليهودية، واعتناق الوثنية اليونانية.

إندلع الصراع بين اليهود المكابيين، وبين الإغريق، وقد أطلق على هذه الفترة بالمكابية، والتي امتد الصراع فيها قرابة قرن وربع منذ عام 37– 166 ق. م.

أسرف أنطوخيوس الرابع في تعصبه الديني فحّرم على اليهود ما يلي: القيام بشعائرهم الدينية وأحرق كتبهم، وحرم عليهم الختان، وأرغمهم على انتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير، وأهلك منهم خلقاً كثيراً وسبى النساء والأطفال، حتى أضطر من نجا منهم من الموت إلى الفرار هرباً من المدينة[2.]

كان للصراعات الكثيرة والقلاقل المتعددة في القدس، الأثر الكبير في تقويض حياتها السياسية والاجتماعية، مما سارع في انهيارها، وأصبحت لقمة سائغة فيما بعد لحكم الرومان.

قد يسال متسائل عن هذا الأمر، أي استقبال اليهود بكهنتهم للإسكندر عن حقيقة هؤلاء المستقبلين. هل كانوا هم الوحيدين في هذه المدينة،أم أنهم كانوا إحدى الطوائف التي تعيش في القدس كغيرهم؟! وهنا نستدل من شهادة المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" الذي عاش قبل المائة الأولى للميلاد في هذا السياق.

إنهم كانوا أقلية، ليس لديهم زعامة سياسية، أو قيادة عسكرية تستطيع أن تقف أمام الإسكندر، وكانت قيادتهم دينية مستضعفة، ليس لها أي ثقل في ميزان القوى آنذاك، وأنهم كانوا مستهدفين أيضا في هذه المرحلة من التاريخ، وانهم تملّقوا إلى الإسكندر علّه ينعم عليهم بالرضا ويبقيهم على عبادتهم وأمورهم الحياتية العادية، وأنه كان في القدس أهلها.

(1) ابن العبري، سبق ذكره، ص 101.

(2) بك باشا، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، بغداد، مكتبة النهضة العربية، ص 41.

المطلب الخامس: القدس في عهد الرومان

تغلّب الرومان على السلوقيين في سوريا، وتوسعوا صوب فلسطين، واحتلوا القدس عام 63 ق: م على يدي القائد الروماني بومبي. "وترك كنوز الهيكل فيه، وفي عام 54ق. م فقد نهب كراسس الهيكل، وأخذ كل خزائنه التي بلغت نحو مليوني ليره استرلينية تقريبا"[1] وفي هذه الفترة كما قال سترابو الذي كتب عن هذه الأحداث حوالي سنة 19 ب. م، قائلا "كان الأنباط في بلاد أدوم جنوب القدس وحولها،المصريون والعرب والفينيقيون إلى الشمال" أي أن القدس لم تكن تحوي جنساً واحداً من السكان، وأن سكانها بقوا فيها، ولم تستأصل شأفتهم منها، بل أن الحشمونيين عندما كانوا يتغلبون على قطر بعينه كانوا يكرهون سكانه على إتباع ملتهم اليهودية، ويرغمونهم على اعتناقها قسراً، وهذا مما تسبب في زيادة الكراهية لهم، واغتنام الفرصة للتبرؤ من عقيدتهم، والعودة إلى دينهم الأصلي، لأنهم كانوا يكرهون الناس على إتباع ملتهم.[2]

بعد خراب أورشليم، ورث الأدوميون يهوذا الجنوبية من الخليل إلى بئر السبع، فشرقا إلى وادي عربه، والأدوميون عرب موطنهم حدود الصحراء الشرقية في جنوب فلسطين، وهم من نسل عيسو، وكان من الأدوميين الملك هيرودوس الكبير الذي كان تابعا للرومان وكانت فترة حكمه من عام 37 – 4 ق. م.

ساعد الأدوميون البابليين على بني إسرائيل، بسبب العداء المتأصل بينهم وبين بني إسرائيل، عندما مروا من ديارهم في عهد سيدنا موسى (عليه السلام).

كان أنتيبيتار الأدومي سّيد فلسطين الحقيقي، وكانت سياسته أن يتمسك بصداقته مع روما مهما كلف الثمن، فمنحه يوليوس قيصر لقب حقوق المواطنة الرومانية، وأقامه نائباً عنه على فلسطين سنة 48 ق: م، كان بكره فصايل واليا على القدس، وفي عام 40 ق: م تمكن الفرس من الاستيلاء على بلاد الشام بما فيها القدس، وقتلوا فصايل، وبعد سنتين استولى الرومان على الفرس، عيّن هيرودوس الأدومي[3]، البنّاء، ملكا على فلسطين من سنة 37–4 ق: م.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، تحرير بطرس عبد الملك وجون الكسندر طمس وإبراهيم مطر، بيروت، مكتبة المشعل الإنجيلية، 1964م، 1967م.

(2) وليكسون، جون، القدس تحت حكم روما وبيزنطه، 63– 637ب. م، (القدس في التاريخ، ترجمة الدكتور كامل العسلي)، عمان، عمادة البحث العلمي، 1992م، ص 96.

(3) لا يعترف االيهود بحقية هيرودوس في الديانة اليهودية حيث أن اليهودي هو من كانت أمه يهودية، وأمه ليست يهودية وهو أدومي من الأنباط، وهناك روايتان عنه، فمنهم من يقول، أنها عربية فلسطينية من عسقلان، والرواية الأخرى نها من مملكة الأنباط واسمها سيروس، وأنها كانت من الأسرة المالكة.

"وكان هيرودوس رجل حرب، شجاعاً، مقداماً قوي الإرادة، ذكياً، نزوعا إلى العلا، توفرت فيه شروط الإدارة، وكان عسوفا يضحي بأعظم شيء لنيل غايته، وتأييد عرشه، فتّاكا، فظاً، قاسياً، قتل زوجته وأطفاله الثلاثة، وأمر بقتل أطفال بيت لحم، تهود وبنى هيكلا لليهود على أنقاض الهيكل المدمر وراعى عواطفهم الدينية، والقومية، فلم يعدوه إلا أجنبيا غريبا ولم يتقبلوا عطفه إلا باشمئزاز، وكانوا ينفرون منه كلما مال إليهم، فتكشف لهم عن عدو في ثياب صديق، وعاملهم بعنف واضطهدهم بقوة."[1]

وانتقم لمقتل أخيه فصايل، وكان تابعا للرومان ويعامل اليهود بقساوة، ونشر الثقافة اليونانية، والرومانية، بين السكان وأعاد بناء الهيكل الذي دمر، وبنى قلعة بباب الخليل، وهو القصر الملكي، وليس قلعة داود كما يدعي اليهود، وإلى الشرق والجنوب الشرقي من هذا القصر، أنشئت حدائق غناء ليتمتع بمنظرها هذا الملك الأدومي، بقي هذا الحصن في عهد تيتس عام 70 للميلاد بيد أن سفروس خربه، وأعاد تشييده هدريان، وجعله قلعة في عصره، وخرب في حروب متوالية، ولم يبق على هيئته الحالية إلا في القرن الربع عشر، عدا الزاوية السفلية لجهة الشرق فهي بقايا من عمارة هدريان.

أنشأ هيرودوس حول هذا القصر ثلاثة أبراج، وكان من إنجازاته أيضا، جر مياه بركة العروب إلى القدس.

بعد هذه الفترة بقليل، ظهرت دعوة السيد المسيح(عليه السلام)، ودعوته التوحيدية ودوره الإصلاحي في عودة هذه الأمة إلى عبادة الله، بعد أن انحرفوا إلى عبادة الأصنام، والخروج عن الدين الذي جاء به موسى (عليه السلام)، والذين اتخذوا من الهيكل مكانا لبيع الحمام والطيور، ومكاناً للصرافة، وإخراجه عن الهدف الذي أنشيْ من أجله.

قامت قلاقل واضطرابات أودت بحياة الكثيرين على أيدي الرومان، إثر القلاقل والفتن التي قام بها اليهود، تزامنت هذه القلاقل مع ثورة اليونان، والسوريين، ضد اليهود، وذبح منهم ما يربو على العشرين ألفا.

وفي عام 68م قام فسباسيان الروماني بحملة على القدس وحاصرها، واستطاع أن يجتث اليهود من أوكارهم، ويقضي عليهم قضاء مبرما، وقد عين هذا القائد فيما بعد إمبراطورا حيث يورّث ولده (تيتس) الحقد على اليهود، فتوجه إلى القدس، وحاصر اليهود، ودخل القدس سنة 70 م، وأوقع مذبحة مريعة في اليهود، وضرب المدينة، وذبح الكهنة، وأحرق الهيكل، وأزاله عن الوجود تماما، بحيث لم يعد

(1) البرغوثي، عمر الصالح، وطوطح، وخليل ، تاريخ فلسطين، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م، ص 59.

يهتدي الناس إلى موضعه، وسيق الأحياء الباقون عبيداً، ويذكر هذه الأحداث المؤرخ العربي مجير الدين الحنبلي، في كتابه، "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل"، قائلا: "إلى أن ملك تيتس الرومي وكان محل ملكه مدينة روميا من بلاد الإفرنج، ففي السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس، وأوقع باليهود، وقتلهم، وأسرهم عن آخرهم إلا من اختفى، وخرّب بيت المقدس ونهبه وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم، وأخلى القدس من بني إسرائيل (كأن لم تغن بالأمس) ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم"[1]

قضي على الكيان الذاتي الديني لليهود في فلسطين، وساد الهدوء حوالي نصف قرن، إلى أن تجدد في ثورة باركوخبا،كان نتيجة لهذه الثورة أن دمّر ما تبقى من اليهود في هذه الديار على يدي الرومان سنة 135 م، وألجأهم إلى الجبال، وأخذوا يشنون حرب عصابات فجّرد عليهم الرومان حملة اجتثت مواقعهم، وأزالت قلاعهم، وأحرقت قراهم، وحوَّل هدريان (القدس) إلى مستعمرة رومانية وحرّم على اليهود سكنها، وبدل اسمها إلى (إيليا كابتولينا) وأسكنت جاليتان رومانية ويونانية في القدس، وأقيم محل الهيكل معبد أسمه جوبيتر.

"مضى هدريان قُدُماً في خطته لجعل القدس مستعمرة رومانية، وقرر الرومان عدم السماح لليهود بالدخول إلى إيليا كابتولينا، وكان هذا اسم القدس الجديد، وضمت المنطقة أقضية جفنه وهيروديوم والمنطقة الواقعة غربي القدس، والتي دعيت أوراينيه (Oreine) أو البلاد الجبلية. ويبدو أن مرسوم روما بشان طرد اليهود قد صيغ بالشكل التالي: "يحظر على جميع الأشخاص المختونين أن يدخلوا إلى منطقة إيليا كابتيولينا، وأن يقيموا فيها، وكل من يخالف هذا الحظر يعاقب بالموت." وكان القصد من هذا المرسوم منع اليهود من الدخول إليها، لكن الشعوب السامية كانت كلها تختن ولا بد أنه كان هناك استثناءات كثيرة من المرسوم.[2]

هذه الضربة الأخيرة لليهود في القدس، فلم يعد لهم كيان في العصور اللاحقة[3]،وبذلك تكون القدس قد دمرت في عهد الرومان مرتين، الأولى على يدي تيتس عام 70م والثانية عام 135 م على يدي هدريان وقد سحقت جميع الآثار اليهودية من هذه المدينة، ولم يبق منها إلا الذكريات، حيث شتت اليهود على يد الرومان في أرجاء المعمورة، وقد زالوا من القدس، ولمدة ثمانية عشر قرنا، حتى بدأت

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره، ص، 169.

(2) ولكسون، جون63-63)، القدس تحت حكم روما وبيزنطة " 7ب. م، (عن القدس في التاريخ،الدكتور كامل العسلي (محرر) (عمان: عمادة البحث العلمي، 1992م ص50 .

(3) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، سبق ذكره، ص 589.

طلائع الاستعمار الغربي تجد فيهم مندوحة لتنشب أظفارها في هذه الديار عن طريق هذه الفئة التي لاقت في تاريخها الدموي العديد من المذابح.

"بعد خراب أورشليم هذه، انكسرت شوكة اليهود، وضعفت قوتهم، فرجع النصارى من عبر الأردن، وبنوا كنيسة وسكنوا في القدس، وكانت تبنى رويداً رويداً إلى أن أعاد بناءها أدريانوس بعد أن كانت قد هدمت في حصار تيطس، ووضع فوق أحد أبوابها حجراً منقوشاً فيه أوامر منع اليهود من السكن فيها وسمى المدينة إيليا"[1]

وليس الأمر ببعيد بالنسبة لهم، فكما عاشوا تلك الأيام القاسية وواجهوا من حروب الإبادة ما عاشوا نتيجة لسوء عملهم، ورداءة صنيعهم، وانحراف تفكيرهم، فلا بدّ يوما من مواجهتهم لهذا المصير المحتوم الذي ينتظرهم لأنهم فرّطوا سابقا ولاحقا بقول الله لسوء تعاملهم مع الآخرين، فسيكون مصيرهم كمصائرهم السابقة، من عهد فرعون في مصر مروراً بصراعهم المتتالي مع الأمم الأخرى، كالآشوريين، والمصريين، وفي بداية دخولهم أرض فلسطين مع الكنعانيين أهل البلاد الأصليين (القوم الجبارين)، الذين كانوا في هذه الديار، والذين الجأ ووهم إلى الجبال وأخذوا منهم تابوت العهد، إلى فترة صراعهم مع الرومان الذين أبادوهم مرتين، فكانت نهايتهم على أيديهم، وأن التاريخ يعيد نفسه، فلن يجدوا لهم مجيراً أو حضناً دافئاً تحت أي ظرف من الظروف كما وجدوه مع أمه العرب والمسلمين، الذين احتضنوهم في ديارهم وتركوهم يعيشون حياتهم الطبيعية، جالية تؤدي ما عليها وتأخذ ما لها، لأن سماحة الإسلام تعامل الذمي باحترام وتمنحه حقوقه الدينية والمدنية، بيد أنهم كعادتهم قد قلبوا ظهر المجنّ وتناسوا أنهم قد خانوا العهود، وخالفوا الوعود، ونقضوا المواثيق وطمعوا في ديار المسلمين (فلسطين) وبهذا الانحراف ظنوا أنّ الأمور ستدوم لهم، وأن الشعوب ستستكين لتآمرهم ودسائسهم، بيد أن الأمر قريب والدائرة ستدور على رؤوسهم، بإذن الله.

ومن الإنجازات العمرانية التي خلفها الرومان في مدينة القدس، بعد استيلائهم التام عليها وبعد أن أزالوا الوجود اليهودي منها، بالإضافة للأعمال العمرانية التي وردت سابقا ما يلي:

أولا: بناء حصن أنطونيا الذي يقع إلى الشمال من الحرم القدسي الشريف، حيث بناه أو جدده مرقص أنطونيوس الروماني صديق يوليوس قيصر،حيث كان حصناً، ولما ملك هيرودوس القدس زاد في تحصينه.

ثانيا: تحصين السور، حصّن هيروردس الأدومي السور وزاد في منعته، ويقال أن كنيسة القيامة كانت تقع خارجه، وأقيم فوقه ثلاثة أبراج وهي:

(1) سركيس، تاريخ أورشليم، سبق ذكره، ص، 153.

1. برج هيبكس.
2. برج فصايل.
3. برج مريامه.

وقد أقام هيرودوس في القدس مسرحاً عظيماً كانت تمثل فيه الروايات مديحاً بالحكم الروماني، ومدرجاً وميداناً لسباق الخيل، وعدداً من التماثيل والحمامات.

بعد وفاته تولى الحكم ابنه أرخيلاوس، واستمر لمدة عشر سنين، وبسبب سوء حكمه خلعه الإمبراطور الروماني، وولّى بعده حكاما رومانيين، إلى أن تلاشى حكمهم عنها[1]

هناك واقع لا بد من التوجه إليه، وهو أن الحقيقة التاريخية وأهل البلاد الأصليين، بقوا محافظين على مواطنتهم ومتمسكين بأرضهم ومتشبثين بترابهم، على الرغم مما كان يحدث في هذه الديار من صراعات وقلاقل، بيد أنهم قد فازوا بالنتيجة وعادت البلاد إلى جذورها العربية، وبرز على السطح أهلها الذين انتظروا كثيراً، وكانت النتيجة التاريخية لجانبهم، وقد دلل على هذا الموقف المؤرخ الكبير، أحمد سوسه في كتابه، "العرب واليهود في التاريخ" بما يلي:

"ورث الأدوميون سكان فلسطين الأصليين، ومعهم الأنباط ديار اليهود بعد السبي البابلي، وأخيراً قضى الرومان على من تبقى من اليهود في فلسطين، وبقي سكان فلسطين الأصليين، ومعهم من دخلها من غير اليهود في وطنهم فلسطين حتى الفتح الإسلامي، حيث بقيت بيد المسلمين حتى وقتنا الحاضر وفي جميع الأحوال لم يترك سكان فلسطين بما فيهم سكان القدس وطنهم.

يستدل على أن أهل فلسطين بقوا في وطنهم منذ خمسة آلاف عام، ولم يغيّر حكم داود أو سليمان الذي لم يطل أكثر من ثمانين عاما أو حكم إسرائيل ويهوذا هذه الحقيقة التاريخية الواقعية.

إن سكان فلسطين الأصليين ومعهم من دخلها من غير اليهود، بقوا وتكاثروا في وطنهم دون أن يمسهم أي أذى، وكانوا في جميع الأحوال الأكثرية الساحقة في البلاد، في حين أن اليهود كانوا يتناقصون يوماً بعد يوم، نتيجة لأعمال السبي المتواصلة حتى أزيلوا نهائياً من أرض فلسطين، وبقي أهلها في وطنهم كوثنيين ومسيحيين قبل الإسلام وكمسلمين ومسيحيين بعد الإسلام"[2]

أثناء حكم الرومان في المشرق العربي، حدث تطور هام وخطير، وهو أن فلسطين و مصر عادتا إلى الحكم العربي لمدة ثلاث سنوات، وذلك حين غزت الملكة العربية زنوبيا سنة 270 م سائر فلسطين وسوريا ومصر، ووصلت الحاميات التدمرية إلى شالسيدون المواجهة لبيزنطة، ولما ارتقى أورليان الحكم

(1) الدباغ بلادنا فلسطين، ج9، ص 63.

(2) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، سبق ذكره ص، 59.

تنبه إلى هذا الخطر، فنزع منها مصر ودمّر تدمر، وهكذا انتهت سيطرة العرب ثانية على بلادهم سنة 273 م. نستمد من هذا الدليل التاريخي على عروبة هذه البلاد الموغلة في القدم، والقائمة على أساس عريق متصل بالماضي البعيد والحاضر القريب.[1]

ولا أدلّ على عروبة هذه البلاد وتجذّر أهلها فيها منذ أزمان موغلة في القدم، ذلك لأن المد الهائل من القبائل العربية، التي كانت تسكن هذه الديار، من يبوسيين، الذين هم من فروع الكنعانيين، الذين وفدوا من الجزيرة العربية في عصور موغلة في القدم، والقبائل العربية التي عاشت في هذه البلاد، كقبائل جذام ولخم وكليب والقبائل العربية الأخرى، التي وفدت مع المد الإسلامي... وغيرها من القبائل العربية التي حافظت على أرومتها وأصالتها، والتي كانت فيما بعد مدداً وسنداً للدين الإسلامي الحنيف، الذي فتحت له القلوب في هذه الديار قبل أن تفتح له البلاد، فكانوا خير سند، وأفضل عون، لهذا الدين العظيم ولأهل هذه الديار العرب.

المطلب السادس: القدس في عهد البيزنطيين

كانت المملكة الرومانية منشقة إلى مملكتين:

المملكة الغربية: وعاصمتها روما.

المملكة الشرقية: وعاصمتها بيزانس.

وكانت فلسطين تحت سيطرة المملكة الرومانية الشرقية، وكانوا يسمونها الدولة البيزنطية. اعتلى الحكم في القرن الرابع الميلادي الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق المسيحية، وكان ذلك بين عامي 306 – 337 م وسمح للمسيحية بالانتشار في الغرب، وفتح روما، وأصبح إمبراطور المملكة الرومانية في الشرق والغرب بلا منازع، وأقام على أنقاض مدينة بيزانس (القسطنطينية) سنة 335 م فزاد في مساحتها أربعة أميال، وبنى حولها سوراً واتخذها عاصمة للملكه.[2]

واهتم بالقدس وآثارها، وبرزت الأهمية الدينية لهذه المدينة المقدسة لدى المسيحيين. فأصبح الحج إلى القدس من أهم الأعمال المحببة إلى قلوب المسيحيين، إذ حج إليها السيد المسيح (عليه السلام) في النصف الأول من القرن الأول الميلادي وكان عمره اثني عشر عاما.[3]

كان قسطنطين تقياً،انتعشت النصرانية في عهده انتعاشًا كبيراً، وزارت أمه هيلانه أورشليم سنة 326م، فهدمت الهيكل وحطمت الأصنام التي أقامها (أدريانوس)، وأزالت الأتربة والحجارة فظهرت

(1) خان، ظفر الدين، تاريخ فلسطين القديم، بيروت، دار النفائس، ص 96.

(2) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص، 71.

(3) يوسف، حمد عبد الله، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 10.

صخرة (الجلجثة) بارزة على هيئتها الأصلية، وفي وسط البستان بنيت مغارة المسيح، وفي هذا المكان نفسه بنيت كنيسة القيامة سنة 335 م، وكانت يومئذ مستطيلة الشكل، على هيئة كنيسة المهد في بيت لحم.

كانت كنيسة القيامة خارج السور، وتم ضمها داخل السور، حيث توسعت المدينة [1] ويعلل مجير الدين الحنبلي،في كتابه "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" هذه الأحداث قائلا "لما جرى من ذكر تخريب تيتس بيت المقدس، وما فعله في اليهود، تراجع إلى العمارة قليلا، وترمم شعثه واستمر عامراً حتى سارت هيلانه أم قسطنطين المظّفر إلى القدس، وابنها قسطنطين الذي كان ملكا في روميه، ثم انتقل منها إلى قسطنطينية، وبنى سورها وتنصّر، وكان (البزنطيه) فسماها القسطنطينية، وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملكه ظهر له من السماء شبه الصليب بأمر بالنصرانية، وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة، يعبدون أصناماً على أسماء الكواكب السبعة، ولمضي عشرين سنة من ملك قسطنطين المذكور، اجتمع ألفان وثمانمائة وأربعون أسقفاً، ثم اختار منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً،فحرموا أرينوس الإسكندرية لكونه يقول، أن المسيح كان مخلوقا، واتفقت الأساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد أن لم تكن، وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الإسكندرية، ومن هنا كان أصل النصرانية في الروم.

وكان قبل ذلك في سنة إحدى عشرة خلت من ملكه، سارت أمه هيلانه، المتقدم ذكرها إلى القدس في طلب خشبة المسيح التي تزعم النصارى أن عيسى (عليه السلام) صلب عليها، ولما وصلت إلى القدس أخرجت خشبة الصليب، وأقامت لذلك عيد الصليب وبنت كنيسة قمامة على القبر الذي تزعم النصارى أن عيسى دفن فيه، وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه، وكنيسة بيت لحم والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى (عليه السلام) وكنيسة الجيسمانية التي بها قبر مريم (عليها السلام) وغير ذلك، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض، وهو الذي كان في المسجد، وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد، وزبالته، فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة، وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" وفتح بيت المقدس الشريف، على ما سنذكره عند الفتح العمري إن شاء الله تعالى" [2].

وفي زمن جوستنيان، ثار السمرة، فذبحوا المسيحيين في أحيائهم، ولكن ثورتهم أطفئت فاستتب الأمن وفي المجلس الكنائسي الذي التئم على عهده سنة 534م، تقرر أن تكون القدس مركزاً لبطريركية.

(1) العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ج1، ص 17 .

(2) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره، ص، 17.

عندما تبوأ العرش هرقل سنة 610 – 641 م وزحفت جيوش كسرى ملك فارس سنة 613 م غرباً، بعد استيلائها على سوريا زحفت على فلسطين سنة 614 م واحتلت القدس وذبحت 90 ألفا من المسيحيين، وقد أقدموا على هذه الغزوة بتحريض من اليهود الذين كانوا يتوقون للانتقام من المسيحيين، فهدموا كنيسة القيامة، ومعظم الكنائس والأديرة، وأمر كسرى أن يؤخذ رخام الكنائس إلى بلاده، لكنَّ هرقل جمع قواته وقطع خط المواصلات بين الجيش الفارسي وقاعدته في الرافدين، وانتصر على الفرس في معركة نينوى سنة 627 م وعلى أثرها تصالح الفريقان، ورجعت سوريا وفلسطين إلى حظيرة الدولة البيزنطية، ودخل هرقل القدس في 14 أيلول سنة 629م[1].

ما زال النصارى يحتفلون بعيد الصليب حتى هذه الأيام، في ذكرى استرجاعهم له من الفرس.

يعلل الباحث "جون وليكنسون" نهاية هذه الفترة بمرحلة النور التي عمت على القدس، وفتحها على يدي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ودخولها في ظلال الإسلام سلما بقوله:

" بينما كان الجيشان الروماني والفارسي يواجهان بعضهما بعضاً ظهر تهديد جديد لكليهما في شبه الجزيرة العربية. وقد دعا هذا الخطر الجيش الإمبراطوري النزول إلى مؤتة على بعد ستة أميال جنوب الكرك. وهزم ثلاثة من القادة كان النبي محمد (ﷺ) قد أرسلهم. ولم ينج سوى القائد الذي عينه الجيش بعد مقتل الثلاثة، خالد بن الوليد. وبعد ذلك بخمس سنوات عاد العرب: المسلمون ووصلوا إلى ضواحي غزة، واتجهوا شمالاً وحاربوا القوات الإمبراطورية عند أجنادين، على بعد عشرين ميلا إلى الجنوب الغربي من القدس. وهزمت القوات الرومانية، وخشي الناس في المدن بقية ذلك العام الخروج من الأسوار خوفاً من تعرضهم للهجوم، بل أنه تعذر على صفرونيوس بطريرك القدس أن يسافر مسافة قصيرة إلى بيت لحم في يوم عيد الميلاد. وحلت هزيمة أخرى بالجيش الروماني عند اليرموك سنة 636م، وانسحب الجيش أخيراً من سوريا. وبقيت القدس سليمة، وظل الأمل يخالج بعض السكان في عودة الجيش الروماني. وحاصر العرب المسلمون المدينة سنة 637م ولكنهم ترددوا في تشديد الوطأة عليها،لأنهم لم يكونوا على إلمام باقتصاد سوريا، ورغبوا في أن تظل ثروتها بيد الناس الذين أداروها من قبل، وفي سنة 637 م تلقى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رسالة بأن إيليا سوف تستسلم له شخصياً دون سواه، ولذلك فقد انطلق من الجابية قرب بحيرة طبريا، ليتسلم المدينة وشيكا من البطريرك، وليضمن بالمقابل سلامتها"[2]

(1) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص 76و77.

(2) ولكسون، جون، سبق ذكره ص، 117.

ما دمنا في هذا السياق، كان لا بد لنا من توضيح ظاهرة هامة خاصة بشعب فلسطين، ألا وهي، أن لأهل هذه البلاد الفلسطينيين ظاهرة قلّ أن تعرف في الأمم الأخرى، علما بأن أي شعب من شعوب الأرض لو تعرّض لما تعرّض له أهل فلسطين لذاب واندثر وأصبح أثرا بعد عين، لكثرة الإحتلالات والأمم الغازية لهذه البلاد، بيد أن شعب فلسطين قد تعلم دروسا عظيمة، واستفاد العبر الكثيرة من حياته التي عاشها على مر الإحتلالات المتلاحقة، فقد حافظ على بقائه ونمائه وأصالته وأرضه، فكلما ازدادت عليه الكوارث كلما اشتد اقترابه من بعضه لبعض، وحافظ على أرضه وتجذّر فيها، فمنذ العصور الغابرة والغزاة يتهافتون على هذه البلاد، وهذا الشعب لم تندثر ثقافته، ولم يتلاشى تمسكه بأرضه، ولم يترك مجالاً للغزاة بأن يفنوه، أو أن يخرجوه من دياره، بل بقي محافظاً على أرضه وبلاده وزراعته وحياته العادية، مخالفا بذلك فكر وعقيدة الآخرين (اليهود)، الذين كانوا موضع نقمة الأمم والشعوب الغازية لهم، ومحط استعداء الآخرين الذين كانوا سبباً في استعدائهم لسوء أعمالهم، وانحراف، مما جعلهم ينتقمون منهم أشد انتقام عندما كانوا يسيطرون عليهم.

أما الفلسطينيون، فقد حافظوا على أرضهم وديارهم ووجودهم مستغلين بذلك حسن معاملتهم حتى وقتنا الحاضر، فإننا نشاهد قساوة الاحتلال الإسرائيلي في أيامنا هذه من بطش وفتك ودمار، والفلسطينيون يقاومونهم بيد، ويزرعون ويبنون ويعيشون حياتهم لا يزعزعهم أو يدثرهم قسوة الاحتلال البغيض، مما يدل على تمسكهم بأرضهم وتشبثهم بأوطانهم.

المطلب السابع: أسماء مدينة القدس

القدس من المدن الهامة في تاريخ البشرية العقدي، فمنذ ميلادها الأول تواترت عليها أمم وحضارات متعاقبة، وكان لها النصيب الأوفر من الكرامة والطهارة،والقدسية، وأضفيت عليها أسماء عديدة وحظيت بها، وكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، وجلّ هذه الأسماء تكاد تنحصر في مفهوم واحد ألا وهو (القداسة أو الطهارة).

يستدل على أن أصل التسمية التي أضفيت عليها سامي، فسميت بالأسماء التالية عبر العصور وهي:

1. **أورساليموم**: Ursalimum فقد تم العثور على هذا الإسم في النقوش المصرية، فيرجع إلى أيام الأسرة الثالثة عشرة المصرية (1786–1650 ق.م).
2. **أوروسالم**: حيث تقرأ في رسائل تل العمارنة من عهد الملكين (أمنحتب الثالث 1450–1367 ق.م وولده أخناتون)(1367– 1350 ق.م) في رسالة عبد خيبا، أميرالقدس.
3. **أوشاميم**: (Aushamim) أي بمعنى اللعنه، والمقصود بذلك أنه يلعن كل من يحاول أن يمسها بأذى لقداستها.

4. **يبوس**: وقد سماها (اليبوسيون) أي بمعنى: الشدة: حتى جاء عهد داود.
5. **مدينة داود**- وقد أطلق عليها النبي داود هذا الإسم تحبباً وتخليداً لها.
6. **يوروشالاييم**: سميت بهذا الإسم بعد فترة حكم النبي داود زيادة في التحبب.
7. **أوروشالم**: لتصبح عبرية النطق.
8. **أوروساليموم**: (Ursalimum) فقد ورد اسمها في النصوص الآشورية.
9. **أوروساليمو**- بلغة ثانية في النصوص الآشورية.
10. **هيروسوليما**: (Hierosolyma)في النقوش اليونانية والرومانية. وقدأطلقت عليها أسماء كثيرة في التوراة، ومن ضمن هذه الأسماء ما يلي:
    أ. أريئيل: في سفر إشعيا 29/ 1
    ب. مدينة العدل: في سفر إشعيا 1/ 26
    ج. المدينة: مزمور 72/ 16
    د. مدينة الله: مزمور 18/ 1
    ه. مدينة الحق: زكريا 8/ 2
    و. مدينة القدس: إشعيا 8/ 2 ونحميا 11/ 1
    ز. جبل القدس: إشعيا27/ 1
    ح. المدينة المقدسة: متّى 4/ 5

أما العرب المسلمون فقد سموها بالأسماء التالية:

أ. بيت المقدس
ب. المقدس
ج. القدس لشريف
د. القدس: وهو الإسم الغالب عليها. كما سماها المؤرخ اليوناني هيرودوت 484-43. ق. م
ه. قديتس محرفة عن قديستا.

أما في عهد الرومان فقد سموها بالأسماء التالية

أ. إيليا كابتو لينا
ب. إيليا[1]

وقد بقي هذا الاسم متعارف عليه حتى الفتوحات الإسلامية، كما ورد في العهدة العمرية.

(1) مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، سبق ذكره، ص 74.

obeikandl.com

معنى كلمة أورشليم

أولا: في اللغات السامية يدل على النور واللهب، وفي اللغة الآشورية بمعنى ضوء (أورو URU)

1- شالم: بمعنى السلام، أي نور السلام.

أما أحبار اليهود فيقولون بأن سام بن نوح قد سماها(شلم)أي السلام، وأن إبراهيم الخليل (عليه السلام) قد سماها يرأه- شلم أي أورشليم بمعنى الخوف والسلام. يعلل الدكتور يونس عمرو في كتابه (القدس مدينة الله) اسم يبوس بالتحليل التالي:

إن اسم يبوس من المادة الكنعانية (ب و س) بمعنى القسوة والخشونة، وتوجد هذه المادة في عبرية العهد القديم، بمعنى الوطء بالأقدام والسفل.

وقد[1] وردت في السريانية بمعنى يبوسا، بمعنى صغير، حسب القاموس السرياني للأب (لويس كوستاف). أما في اللغة العربية فقد وردت مادة (ب و س) بمعنى خشن. وقد عرفت بهذا الإسم لخشونة أهلها وشدة بأسهم قوله تعال(أولي بأس شديد) والاسم شاليم بمعنى (السلام،) والاسم شاليم مشتق من المادة السامية العامة س ل م مع مراعاة وجود السين المهموسة في لغة والشين في لغة أخرى، وهي تعني (التمام والكمال)، وتوجد هذه الكلمة في اللغة الكنعانية، بسائر لهجاتها الفينيقية والحثية والعبرية على حد سواء، معللاً أن هذه الكلمة وردت في اللغة الآشورية بمعنى سلامو (salamu)بنفس دلالتها الرئيسية في الكنعانية بمعنى التمام والكمال.

2- شليم- في اللغة الآرامية بمختلف لهجاتها.

3- شلموتا- في اللغة السريانية بمعنى كمال واتحاد، وشلموتا بمعنى اتفاق، وشلمنتا وشلاما بمعنى سالم وصحيح، وشلاما، بمعنى أمنة وطمأنينة.وكذلك في اللغة العربية السبأية (سلم) بمعنى سلام وسلم وأمن، وسالمو في اللغة الحبشية بمعنى أمن وسلام، فنستدل بعد هذه المحصلة من الإحاطة بجميع ما يحوم حول هذا المقطع من الإسم، بأن اسم (شاليم) اسم سامي أصيل يدل على الأمان والكمال والتمام في جميع اللغات السامية، وكذلك في اللغة الكنعانية بسائر لهجاتها فهي

4- قدش- في الفينيقية.بالشين بمعنى مقدس.

5- قداسو: في اللغة الآشورية بمعنى تطهير.

6- قداشا: في اللغة ألآرامية (أور) بنفس الدلالة.

---

(1) عمرو، يونس، القدس، سبق ذكره ص 48.

7 – قدش: في اللغة السريانية بمعنى قدس.

8- بيت نينورتا: ذكرها (هومرت سميث) في كتابه (الإنسان والأديان) معتبراً أن اسمها قبل أن تعرف باسم أورشليم[1] كما أن السيد (محمد محمد حسن شراب) يذكر أسماء أخرى للقدس في كتابه "بيت المقدس" حيث وردت هذه الأسماء بإطلاق اسم الجزء على العموم.

قال ابن حجر: ومن أسماء القدس.

1- كوره.

2- بيت إبل.

3- صهيون.

4- مصروت- اسم أحد الأحياء وهو المصرارة.

5- كورشيلا: نسبة إلى كورش الملك الفارسي.

6- بابوس: محرفة من كلمة يبوس.

7- إيليوس: أي إيليا.[2]

8- اريانه: أي اريانه الحثيه، وكان ملكها يدعى اريان، وكأن الإسم له علاقة أثنية بين الإسم والحاكم.[3]

(يقدم (ماورس) تعريفا لكلمة صهيون، التي اختارها جوزفيس إسما للجبل الجنوبي من القدس، حيث أطلق عليها إسم (زيون)، فيقول: صهيون هي مدينة القدس، وتدعى كذلك باسم الجبل الذي يقع في الجزء الجنوبي منها، ولاسمها معنى صوفياً غيبياً حيث أن صهيون معناه"مرقب أو تفكير داخلي) وهي تعني الكنيسة، أو النفس المؤمنة، أو الوطن السماوي، وحسب التاريخ فهي تعني الشعب اليهود[4]

المطلب الثامن: القدس عربية الأصول

إن عروبة القدس لا مجال للشك فيها مهما أحاط بها من زيف وافتراء، ومحاولات يائسة لطمس الحقائق الأصيلة لهذه المدينة العربية الخالدة، فهي منذ نشأنها الأولى عربية الأصول، وأن هناك توثيقاً تاريخياً يدل على عروبتها حتى قبل الألف الثالثة للميلاد، ونحن العرب والمسلمين، لا نتخذ من

(1) المصدر نفسه، ص 57.

(2) شراب، محمد محمد شراب، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 36.

(3) الفني، إبراهيم، سبق ذكره، ص 65.

(4) المصدر نفسه، ص، 61.

obeikandl.com

هذا الكتاب مرجعاً في توثيق تاريخنا، ولكننا نستطيع أن نستفيد من بعض نصوصه التي تخدم قضيتنا، فلا بأس أن نستأنس ببعض النصوص التي تهمنا حتى تكون حجة عليهم ودعماً لموقفنا من هذه القضية الحساسة، التي يبغون أن يستأثروا بها مغيبين عن هذه الأمة حقها في إرثها وتراثها0 ومما يدعم هذا الرأي ما جاء في العهد القديم،جاء في النصوص البابلية والآشورية والعبرية ما يشير إلى استخدام لفظ (عربي) كمدلول جغرافي لإقليم بعينه في هذا الصقع الذي عرف فيما بعد باسم،فلسطين، وبيت المقدس كانت من ضمن بلاد فلسطين، فجاء في سفر اشعيا (وفي غابة بإقليم عرب تنامون يا قوافل الدادانيين[1].

ورد هذا الاسم صراحة في سفر ارميا (وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية)[2].

كما ورد في التوراة في أخبار الأيام الثاني (وكل ملوك العرب وولاة الأرض[3] وفي نفس الإصحاح (وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضا عنه لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة[4].

هذه النصوص التي ذكرت العرب صراحة قبل مجيء بني إسرائيل إلى هذه الديار، مما يدل دلالة واضحة على عروبة هذه الديار وجوهرتها القدس الشريف.

كما عثر علماء الآثار الآشورية على نصوص أخرى، جاء فيها أن الملك سرجون يذكر في حديثه عام 715ق.م كيف أنه هزم القبائل العربية (ثمود) ونقل أفرادها إلى سماريا.

فهذا دليل واضح وأكيد على عروبة هذه الديار، ووجود أهلها العرب فيها منذ أزمان موغلة في القدم، كما أنه استلم الجزية من أمير عربي، ويذكر أنه عندما حاصر القدس، وجد العرب مقاتلين في صفوف حزقيا، وفي أيام الرومان كان الجزء الشمالي الغربي من فلسطين يعرف باسم (عربيه)، ويؤكد هذا ما جاء في رسالة (بولس) إلى أهل غلاطيه يقول فيها (انطلقت إلى عربيه ثم رجعت إلى دمشق)[5].

هذه الحقائق التي أوردتها، تثبت هوية بيت المقدس، بأنها عربية الأصل، وأن الادعاءات الصهيونية بملكية فلسطين وبيت المقدس باطلة، لا أصل لها[6].

---

(1) سفر إشعيا، إصحاح 21/ 12.

(2) سفر ارميا، إصحاح 25/ 24.

(3) أخبار الأيام الثاني، إصحاح 9/ 14.

(4) نفس المصدر، ص 9/ 14.

(5) سفر الخروج، إصحاح 1.

(6) يوسف، حمد أحمد عبد الله، بيت المقدس، سبق ذكره ص 13.

كما أورد الباحث (جورج مندنهول G.E. Mendenhall)في بحثه عن القدس من 1000- 63ق.م، قوله: "وكانت مدينة القدس الكائنة في البلاد الجبلية الوسطي، تتمتع بموقع ممتاز على خط الحدود بين سبطي يهوذا وبنيامين، كما كانت على ارتفاع كبير من الجبال، بحيث تأمن الغارات المفاجئة من الفلسطينيين من السهل الساحلي، أو من الكيانات المعادية المختلفة في هضبة عبر الأردن، أو من المجموعات القبلية في المنطقتين الهدّابيتين في سيناء والنقب.

ومن الواضح أن المدينة كانت محصنة تحصينا جيداً، ومن الشواهد الممتازة على ذلك السور اليبوسي القديم، الذي كشفت عنه الحفريات الأخيرة، ولم يَعر العلماءُ اهتماماً كافياً للحقيقة التي مؤداها، أن حكايات الكتاب المقدس لا تخبرنا عمليا بأي شيء عن السكان المقيمين في المدينة، أو عن مصيرهم بعد استيلاء داود وكتائبه عليها، بل إن اسم الملك اليبوسي لم يذكر مع أنه جرت الإشارة إليه في القائمة القديمة التي تضم واحدا وثلاثين ملكا، تم التخلص منهم في وقت ما يدعى "بفتح فلسطين".

كانت الخطوة الأولى بعد الاستيلاء على القدس، دمج معظم ممالك المدن الكنعانية القديمة بالقوة المسلحة في المملكة، وكذلك المدن الفلسطينية والقرى التابعة لها.[1] كما لخص نَبيٌ فترة السبي (حزقيال) الوضع بدقة بكلماته الشهيرة حول القدس "مخرجك ومولدك من أرض كنعان. أبوك أموري وأمك حثية".[2]

هنا لا بد من وقفة ! كيف أن هذه الأحداث قد جرت؟!، وهل جرت بمنأى عن السكان الأصليين الذين كانوا يقطنون القدس، وهل كانت القدس خالية من السكان، عندما تم الفتح الداودي، أم أن أهلها كانوا فيها، وكانوا يقاومون، ولم يدخلها داود بسهوله. كما يدَّعون؟!. إذن كانت القدس مأهولة بسكانها الذين دافعوا عنها دفاعا مستميتا، وكان يحيط بها ملوك تم القضاء على ممالكهم. وهذا دليل على عروبة القدس وأصالتها.

(1) مندنهول، جورج، القدس من 1000- 63ق.م، عمان، عمادة البحث العلمين، الجامعة الأردنية، ترجمة، كامل العسلي، القدس في التاريخ، 1992م، ص 55- 62.

(2) سفر حزقيال، إصحاح 16/ 3.